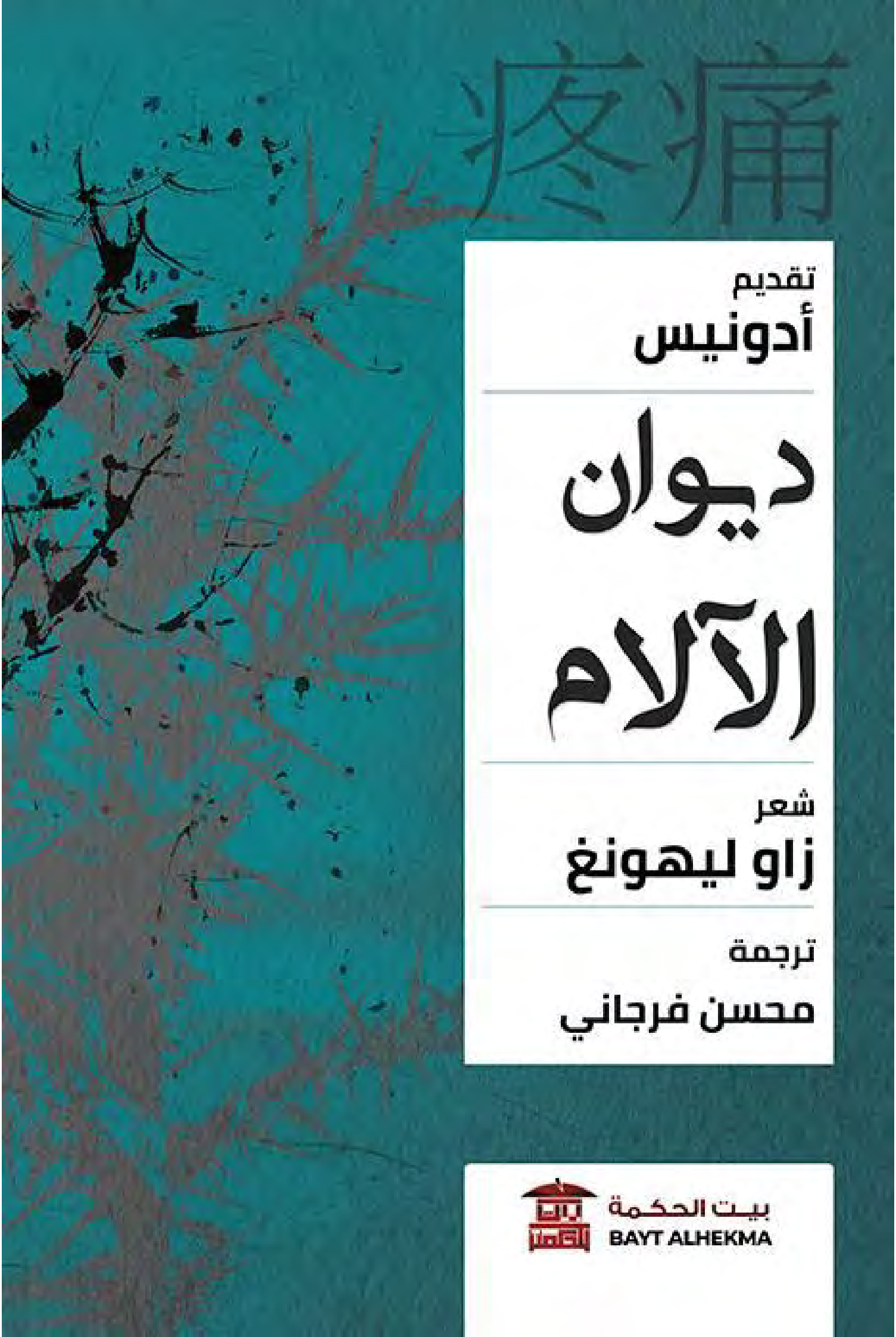

تقديم

أدونيس

ديوان الآلام

شعر

زاو ليهونغ

ترجمة

محسن فرجاني

بيت الحكمة
BAYT ALHEKMA

ديوان الآلام

شعر

This Arabic translation published in 2020

Copyright © Bayt Alhekma Cultural Investment Company

《疼痛》（阿文版）

"ديوان الآلام"

Copyright © by Zhao Lihong

This edition is authorized by Zhao Lihong through China National Publications Import & Export (Group) Corporation.

تمت الترجمة بشركة بيت الحكمة للترجمة

All rights reserved including the right of reproduction in whole or in any part in any form.

ALL RIGHTS RESERVED

ديوان الآلام

للشاعر الصيني: زاو ليهونغ

ترجمة: محسن فرجاني

الطبعة الأولى: 1441هـ – 2020م
الناشر: بيت الحكمة للاستثمارات الثقافية
رقم الإيداع: 2279/2020م
الترقيم الدولي: 9789776724358
ديوان الآلام، تأليف: زاو ليهونغ. ترجمة: محسن فرجاني، تقديم: أدونيس.
تم نقل حقوق الترجمة والنشر بموجب العقد الموقع مع الناشر الأصلي بالصين
©Zhao Lihong

بيت الحكمة للاستثمارات الثقافية
174شارع التحرير – الدور الثالث – عابدين – القاهرة
تليفون
Website. www.wisdompalacear.net
E-mail. baytalhekmaeg@gmail.com

بيت الحكمة
BAYT ALHEKMA

تحذير:
لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل أو بأية وسيلة، سواء بالتصوير أو بالتسجيل على أشرطة أو أقراص أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن كتابي من الناشر.

.....

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

الفهرس

آلام الوجود وآلام الشِّعر- تقديم: أدونيس 9
باب 13
بَـرْدٌ 17
تحـديقٌ 19
شريحةُ أشعَّة إكْس 21
مادَّةٌ مُعـتمة 23
نُدوبٌ 29
مَخْـرَجُ الرُّوح 31
تَـراكُبٌ 37
الهاتفُ الخلويُّ و"الإنترنت" 39
رقصةُ حُبٍّ على الطَّريق 45
خُصلاتُ شَعْرٍ 47
بَصْـمَةٌ 49
ظُـفْـرٌ 53
لَوْنُ الحُـلْمِ 57
حَـدْس 61
أَحْبَالٌ صَـوْتِيَّة 63
غُدَّةٌ دَمعِيَّةٌ 65
مُخَلَّفاتُ فَقِيد 67
تَرَقُّبٌ 71

حين زارني الميْتُ في المنام 73
أفكارٌ متَّصلة 81
"شياو" (مزمار البامبو) 85
فَصُّ الرِّئة 87
غِشَاء الأُذُن 89
جفن العين 93
الأبد 95
ظِلِّي فوق الأرض 97
دار ضيافة في نهر الأيام 101
شعاعٌ من النُّور 105
تَحَوُّرٌ جسديٌّ 109
سهمُ الوقت 113
الآلام 115
طُغيان 119
استنباتٌ 121
كم أودُّ النسيان 125
ملتقى الفجر والأصيل 127
على ذِكْرِ الموتِ 131
عاصفةٌ 137
ضياعُ الطريق 139
طيرانٌ 143

غوصٌ 147
الولوج معًا في ثلاثة فراغات 151
خطوط الكتابة 153
أين شرَدَ بيَ الحُلْمُ؟ 155
سلسلةُ الظَّهْر 159
اللِّسان 163
باطن القدم والطريق 165
على قيد الحياة 167
مقعدي 171
الألمُ هو قِوَام الأمر 173

آلام الوجودِ وآلام الشِّعر

تقديم: أدونيس

(1)

"التغلُّبُ على الألم": رايةٌ رفعها إيبيقور اليونانيُّ، وتابعه تلميذُه الرومانيُّ لوكريس؛ والسِّلاح في ذلك هو ما سمَّاه هذا الأخير: "تطهير القلب"؛ بحيث ينظر الإنسان إلى الموت نفسه كأنَّه ليس موتًا؛ بل "نَوْمٌ آخَرُ".

لكن يبدو أنَّ هذا القلبَ الإنسانيَّ عصِيٌّ على هذا التَّطهير، كأنَّ الألمَ عنصرٌ تكوينيٌّ فيه، وكأنَّ الخلاصَ منه خلاصٌ من القلب ذاته.

***

(2)

الألمُ هنا في هذه المجموعة الشِّعريَّة ليس مفرَدًا؛ بل جمع؛ وإذا كان يتعذَّر الخلاصُ من الألم المفرَد، فكيف تكون الحالُ في الألَم ـ الجَمْع؟ هل جوهرُ الإنسانِ، في حياته ومَوتِه، ألَمٌ؟ ربَّما. ولا شفاء؛ أو لعلَّ الشِّفاء هو أن نحتويه، وأن نغمرَه بفيض وجودنا: الحوارُ معه، والسَّفَرُ، والنَّوم واليقظة، والجلوسُ إليه حوْلَ كأسٍ من الشَّاي الذي تفنَّنَ الإنسانُ في ابتكاره لكي يكون في مستوى ظمَئِه الكينونيّ.

ذلك أنَّ العدوّ، هنا، ريحٌ والسِّلاحَ شبكةٌ: فكيف يمكن للشَّبكة أن تقبض على الرِّيح؟

سؤالٌ يمكن القولُ: إنَّه المَدارُ الأساسُ لهذه المجموعة الشعريَّة "آلام". مَدارٌ لا بوصفه سؤالًا حول تُرَّهات banalités الحياة اليوميَّة، وإنَّما بوصفه سؤالًا حول الكينونة ذاتها؛ فالألم في شعر زاو ليهونغ يتجاوز حدودَ الجسم ويشملُ الفكرَ والنَّفْسَ، العبارةَ والدِّلالة.

***

(3)

فيما يطرح الشَّاعر مشكلةَ الألم، يطرح مشكلةَ اللا ألم، بحساسيَّةٍ فنِّيَّةٍ عالية يذوبُ فيها التأمُّل الفلسفيُّ كأنَّه عطرٌ يتضوَّع في جسد القصيدة خليَّةً خليَّةً.

هل يمكن أن يعيش الإنسانُ بلا ألَم؟ هل يمكن أن يعيش في الفرح والبَهجَة والغِبطة والطُّمأنينة، فيما تُطَوِّقه من جميع الأنحاء، بَواعِثُ الألم؟

صحيحٌ أنَّ الإنسانَ - كما يؤكِّدُ تاريخُه، عَمِل ويعمل على تجنُّب الآلام وأسبابها؛ لا الألَم؛ بل اللذَّة: هذا ما عمل الإنسان ويعمَلُ من أجل تحقيقه؛ ولقد قال فويرباخ (Feuerbach):

"الدِّين الحقيقيُّ هو الفرَحُ الحقيقيُّ".

***

(4)

ربَّما نجد في قصيدة "ظلِّي" مسرحًا مُصغَّرًا لهذا الألم الكينونيِّ: الإنسان في آنٍ واحد: شخصٌ، وشبَحٌ، وظِلٌّ؛ فما العلاقة داخل الإنسان، بين

شخصه وشبحه وظلّه؟ وما الجواب، إن كان هناك جوابٌ حقًّا؟ أم أنَّ الإنسان مجرَّد قصبةٍ Roseau، كما يصفه باسكال، يترنَّح في موج الطُّوفان الوجوديِّ؟

لكن، بينما تشعر بأنَّك مأخوذٌ بهذا الموج في شعر زاو ليهونغ، تشعر بأنَّ صوتًا يتغلغل في صخَبِ الموج، يتموَّج بين شفَتَي الشِّعر، هامسًا في أذنيك: صحيحٌ أنَّ الإنسانَ يعيش في أباطيل العالم، غير أنَّ فيه قدرةً على تجاوزها.

ولئن كانت الأشياء مجرَّدَ قَبولٍ، وضْعًا ومصيرًا، فإنَّ الإنسان لا يتحدَّد بالقَبول كمثل الشَّيء؛ فجوهرُه هو في قدرته على الانفصال كقدرته على الاتِّصال؛ وهو، إذًا، فعَّالٌ ومُغَيِّرٌ.

هكذا يضعنا هذا الشِّعر في قلب الوجود؛ والقصائد هنا أمواجٌ – تنويعاتٌ على ألَم الوجود، استبصارًا واستقصاءً، تجربةً وكتابةً؛ قصائد تتآلف كأنَّها موكب فراشاتٍ تبسط أجنحتها مثل دروبٍ طائرةٍ بين جراح التَّاريخ.

وها هو نزيفُ الألم وجراحه، مفتوحٌ في شعر زاو ليهونغ على الفضاء، في مزيجٍ من الرَّعد والشَّمس، من القلق والطُّمأنينة.

بينما نقرأ القصيدة، فإنَّ الألَمَ يتسرَّب إلينا، نشعر كأنَّه يتسرَّب إلى القصيدة التي تليها؛ نشعر كأنَّ الجبالَ، تلك التي تجاورنا، وتلك التي نتخيَّلُها ليست إلاَّ ألمًا آخر: ألا وهو تعبُ الطَّبيعةِ وهي تحاول الصُّعود؛ نشعر كذلك بأنَّ الألَمَ ليس مجرَّدَ نسيجٍ لغويٍّ – تصويريٍّ، وإنَّما هو أيضًا نسيجٌ مادِّيٌّ، وأنَّ هذا النَّسيجَ جزءٌ عضويٌّ من الحياة ذاتها.

كلُّ قصيدةٍ في هذه المجموعة بحيرةُ لوتسٍ يتصاعدُ منها عطرٌ اسمه الألم؛ وفيما نتأمَّل هذه الزَّهرة – الألم، نشعر بأنَّها تتحوَّل إلى غيومٍ تتنقَّل على سلالِم الفضاء؛ نشعر بأنَّ الألم في شعر زاو ليهونغ ظِلٌّ يتحرَّك بين كلماته، بين حروفها وإيقاعاتها وعلاقاتها؛ بحيث يبدو كأنَّ هذا الألم زمَنٌ آخر داخِلَ الزَّمَن.

***

(5)

أَلَمُ الشَّاعر هو، في كلِّ حالٍ، شعريٌّ إلى جانب كونه إنسانيًّا.
والجانب الأكثر شعريَّةٌ فيه، هو أنَّنا لا نعرف كيف يُولد، ومن أين؟
ولئن كان هناك جوابٌ حقًّا فإنَّه جوابٌ يختزن سؤالًا؛ ذلك أنَّ الشِّعر دائمًا هو سؤالٌ، أو تحريضٌ على السُّؤال.
وتلك هي خصيصته الخلَّاقة الفريدة.

أدونيس
(باريس، نوفمبر 2017)

باب

أبوابٌ وراء أبواب
على الطريق أبواب مغلقة
هيِّنة المغاليق أحيانًا
تنفتح بأهون ما يكون
ينكشف سرُّها المكنون
وتعاند كل الدقَّات أحيانًا،
تعاند ألف مطرقة ومطرقة
فلا تُبدي إلا فرجةً ضئيلة،
ثمة أبواب تنفتح من تلقائها
أخطو فيصير الخطو مفاتيح
وثمة أبواب عصيَّة الأقفال
موصدة الرِّتاج كجدار عتيق.

أبواب خفيَّة العتبات
حيث تكمنُ تحت الخطى أغلال
قد يخطو العابر حينًا كيف يشاء
أو تتكبَّل خطاه بأصفادٍ ثِقال
وإذ تسقط به العثراتُ لدى الباب
ينطلق من وراء المصراعِ النداءُ:
أن تعالَ وامضِ فوق الأعتاب
امضِ ولا عليك من ظلمة مطبقة
فوراء المرقاة لآلئ نورٍ وضَّاء
أقبِل حتى وسط عاصفة
ففي الداخل أجواءُ صحوٍ صافية.

مرةً أخرى
وقفتُ لدى الباب
حين نُودِيتُ بالسؤال
أتجرؤُ بك خطاك على الدخول؟
فثمة وراء الأبواب دنيا بأسرها
فإما جِنَان ومَقاصير فرحٍ سماويَّة
وإما جحيم بأصفاد الأزل.

ديسمبر 2015

遗物

بَرْدٌ

صوتٌ نطقَ به الناطق
فتكاثفَ في الحال نثار جليد
تطاير الثلج نُدَفًا تدفَّقت في قلب السكون
ها هو ذا زفيرُ الأنفاس
يتجمَّد، يحتشد ضبابًا وثلوجًا
يتكسَّر في دوَّامات البرد والريح
يتقطَّر ثلجًا حال انسكاب الدموع
يصير الأُفْق ساحة تُزِيغ البصر
مِلْء المدى بلورات ثلجية تنفذ في الضلوع.

رياحٌ باردة، قاطعة كحدِّ الموسى
رياحٌ من شوكٍ وإبر
ينفذ نصلها في السُّتْرَات الجلديَّة والأقمصة
توخز الأجساد بمسٍّ من زمهرير
تتجمَّد من وخزها حتى ألسنة الشرر
تصير حواف موشورٍ محمرَّة الأهداب
هياكل جمراتٍ قناعها جليدي الصور.

فبراير 2016

تحديقٌ

نورٌ غير ظاهرٍ للعيان
يسطع من الأحداق
تحتشد مسارات النور في البؤرة التي،
لا صوتَ لها ولا بريق
بيد أنها سحريَّةُ الإمكان.

حين التجهُّم
تصير مثل رياحٍ صارمةِ الصقيع
تُحيل الدماءَ شظًى من جليد
وحين القلق
تنصهرُ منها القسمات الباردة
تسيلُ صُهارة صخرٍ وحديد
تذوبُ لهبًا وحممَ حريق.

بؤرة احتشادٍ لكل المسارات
رأس سهمٍ نافذٍ في جدار من صوَّان
يا ويح وجهٍ تفرَّسته النظرات
لهفي عليه وليس ثمة ملاذ
يواريه عن تفرُّس حَدَقٍ كالطِّعان.

فبراير 2016

شريحةُ أشعَّة إكْس

حزمة أشعةٍ غير مرئيَّة
مرقتْ عبرَ نسيجِ الجسد
عبرتْ خلالَ الهيكلِ العظمي
تسلَّقت كلَّ شريانٍ دموي
جاست تلافيف الخلايا العصبية.

كان ثمة رنينٌ خفيض
كطرقةٍ على الباب بإصبعٍ سحريَّة
هو ذا مؤشر الأشعة
حين كانت حزمة الضوء
تلمس حنايا الجسم وأغواره الخفيَّة.

شريحة "فيلمية" شفافة
لا تكذب تحت المجهر
تميط اللثام عن خفايا الهيكل الجسماني
ترسم بالأبيض والأسود
ظلالًا وتوهجَّاتٍ براقة
داخل إطار محدد الزوايا.

تنفتح العين على اتساعها
تذوب الأحداقُ فوق سطح الشريحة "الفيلمية"
تستقصي الخطوط والثنايا
يضيع المسعى في متاهة، بالأبيض والأسود
تتجمَّد الأحشاءُ، تضرب عن الحيويَّة صفحًا
يَخمُد نبض الدماءِ، يتبدَّد دفء الخلايا.

يقول الطبيب
ليس في جعبتك التذكاريَّة
أصدقَ من هذه الصورة الفيلمية.

18 من فبراير 2016

مادَّةٌ مُعتمة

(1)

في كلِّ بقعةٍ من الأجواء
تطيرُ كائناتٌ غير مرئيَّة
تقود مسعاي، تصدُّني
تحمل عليَّ، تحوطُني
تهزأ بي، تكيل ليَ الثناء
وأنا، عن كل هذا في غفلة.

(2)

حين أمشي وفي خلفيَّة المشهد أنوار
يتحوَّل الضوء إلى كتلة، يتحلَّى بمزايا
يدفعني النور على الطريق
لطالما عجزتْ خُطَايَ عن اللحاق بمسرى الوهج
لكنني أشعر بوجوده
أشعر به وهو يستحثُّني على المسير

(3)

ينكمشُ الجناحُ في قلب الأجواء
ينعدم الوزن ويسقطُ الجسدُ من حالق
يَهْوِي كسهمٍ مشرعٍ نحو السقوط
تُرى، يرتطم بصخرة صمَّاء
أم يُسابق تيار الموج المخملي الرائق

(4)

يتوارى الهدف وراء المدى الضبابي
دون أن يتوقَّف المسير أو تتوانى الخُطى
تحار النظرات الهائمة في الآفاق
تستطلع المدد من الآذان المرهفة
تترصَّد الأذنُ صوتَ الرياحِ على المدى
تقول الرِّيحُ: احفظ قدميك من الزَّلل
فثمة شقوق في الأرض ومنعرجات.

(5)

أنتم تتوارَوْن وراء العدم
تنسجون أكاذيبَ ووعودًا لا تتحقَّق
ما زلتم تترقَّبون الفرصة السانحة
كي تصنعوا مشاهدَ عالية الصخب.

(6)

توهّج خطٌّ نيزكيٌّ في صفحة الليل
تُرى، أكانت لحظةُ اللهبِ المارق
هي لحظةَ انصداعِ الظلمة بيدِ الكائنات
أم هي ساعة التهام العتمة للخلائق؟

(7)

ليس في الألوان أحلك من عتمة
كل الألوان والأطياف والظلال
تتضاءل قياسًا إلى كثيف كتلتها
حتى لو أطلق المرء للوهم العنان
فلن يقدر على تخفيف دبق مادَّتها.

(8)

وسط السكون
صراخ لا تلتقطه الآذان
انفجار مروِّع يخترق الأسوار
سوى أن الصوتَ كالصمت سيَّان
يبدو الدثار قناعًا موسومًا بالصمت
لكنه يواري جسدًا يتأجَّج بالغليان
ويحجب الصوت عن كل أذن مصغية
يحول بين كل سامعٍ وخفي الأصوات.

(9)

لا أملك فهم أسرار هذا العالم
ولا العالم بقادرٍ على فهم أسراري
تستطيع أشعة (أكس) اختراق اللحم والعظام
ويمكن لشفرات أشعة (غاما) أن تقطِّع الأحشاء
سوى أنها تعجز عن اقتناص
سوانح أفكارٍ حرة طليقة وخيالات
تجوَّلت فيما بين أرضٍ وسماء.

(10)

يدٌ أشاحت بعلامة اليأس
لن تُجيد إلا صنع العدم
نقطة الجهد لن تحلّق في فراغ
إن رياحًا عاتية، حادَّة كشفرة سكين
ستمرق بخطٍّ قاطع عبر عشرة أصابع.

(11)

أغْمَضَ العالَمُ جفنيه
وأسدلت الليلة أستارها
لا نائمَ ملء عيون الليل كمن أضناه التعب
ثمة من يضطجعون ورؤوسهم ملأى بالأفكار
وهناك طيورُ تنثر في رحابِ السماء الجناح
ثمة أحداقٌ تتّسع في عيون الليل
ترقب في صبر شديد
لحظة إفاقة العالم من رقاده.

مطلع ربيع 2016

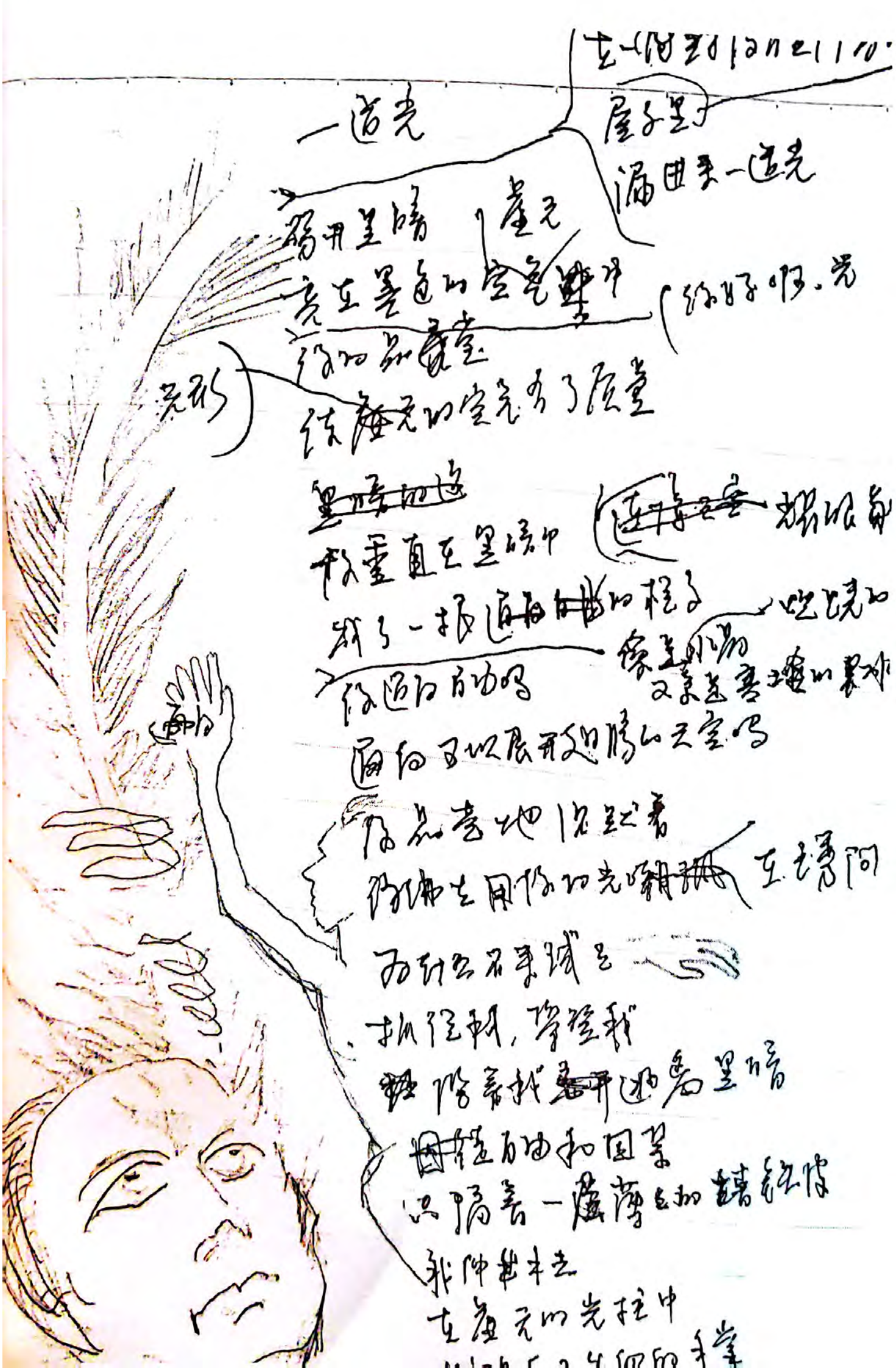

نُدوبٌ

لمَّا تعرَّى منِّي الجسد
اكتشفتُ أن ملءَ خفايا الجسم ندوبًا
آثارٌ ذات أشكال وأحجام لبقايا الجروح
تغطِّي كل جارحة.

كم من مرَّة تعثَّرَت بي خُطواتي
وارتطمتُ بأشياء، وتمزَّق ردائي
كم طُعِنْتُ بنصال
ورُميتُ بأغلظ أحجار
انشقَّت الجروح في جلدي؛ وقد أُخِذْتُ على غفلة
دماءٌ طازجة تزهر كبراعم في جسدي
حمرتها تبهر النظر
حمرتها شوكٌ وإبر
يعتكر صفاء الكون في وهج الاحمرار
ويمتلئ المدى بلون القتام

زهور، تذبل في غمضة عين
والندوبُ ثمراتٌ ناضجة إثر سقوط الأزهار
ثمراتٌ مثخنة بجراح وندوب آلام
تنطوي بذرتها على خفايا أسرار.

هي العين المفعمةُ بالأسى
ومكامنُ الألم التي فجَّرتها صنوف المِحن
وكل موضع استكنَّت به نَدْبَة
كلها ستشرع أجنحتها المتوثِّبة
تحملني طيرًا رشيق الطيران
أُحَلِّق بحثًا عن زمن ضائع
أنزل ضيفًا على شبابٍ ولَّى على الزمن.

4 من يناير 2015

مَخْرَجُ الرُّوح

هناك وقت تفترقُ فيه روحٌ عن جسد
فذاك هو مَخْرَج الروح
تنطلق الروحُ هائمةً في الأجواء
لكنها لا تنال الحريَّة
تشتاق الروحُ الهائمةُ في الفضاء
زمنًا كانت فيه رفيق الجسد
هنالك يكون الزمان قد فات
ولاتَ ساعة رجوع.

لا ضيرَ إذن أن أصير عصفورًا
أَحُطُّ على أهداب الغصون
أطالع الأجساد ملء الشوارع تمشي رويدًا.

تلك هي روحي
وقد لبثت حينًا فوق شجرة
تتطلع من مكمنها في فضول
إلى جسدي
الماشي على مهلٍ فوق الأرض
يجري، يهرول، يرقص، يتجوَّل
يتطلَّع حوله في كل الأرجاء
مثل كلِّ الناس
وحين يهيج وراء الجدران
ينحني ذاهلًا شارد النظرات
فأنا القابع فوق الشجرة
وأنا الآخر في الطرقات
قريبان على مرمى ذراع
بعيدان، مقدار مسرى الروح
بين الأرض والسماوات

كيف لروحي أن تعرف ما يدور برأسي
كيف لها أن تدرك وجهتي والمسار
يرفع جسدي الرأس إلى أعلى
فلا تبصر العينان روحي
لا يبصر النظر إلا أوراقًا ذابلة يتقاذفها الريح
لا تبصرني عيناي، تُرى، أين أنا
أين أنا؟

قد يصير مَخرج الروح
سطح مرآةٍ عاكسة
يتجلَّى فيها الجسد نابضًا بحياة.

فأنا حينئذٍ لآلئ النور في سطح لامع

هي ذي الروح

تمكث رهن الانتظار أمام فراش

ها هو ذا الجسد

يتشكّل فوق مرآة

حيث يتبدّى في ثنايا اللمعان

وجهُ حائر القسمات

هو ذو وجهٍ غريبٍ مجهول

سترة جلدية غليظة ناصلة اللون

وحذاء جلدي تشقق عن أصابع

محتفظًا بكومة حقائب صدئة الأقفال

وقد لا أرى شيئًا
ليس سوى مرآة مسطَّحة
تنتصب أمام محدِّق مجهول
حائر الملامح، مذهول
وجهان متقابلان وصمت مطبق
تُرى، أين أنا
أين أنا؟

9 من يناير 2015

تَراكُبٌ

عالمٌ في طبعه التراكب
تتداخل أشياؤه،
تتشابك وتتداخل
تجول الأبصار في جنباته
فإذا النوافذ تتلوها النوافذ
وإذا وراء الأبواب أبواب
ويتراكم وراء التل تلال
وفوق السماء ترتفع سماء.

يرتد البصر إلى الداخل
فإذا بداخل كل حدقة أحداق
وطَيُّ الفم أفواهٌ أُخر متراكبة
في حوايا الفؤاد أفئدةٌ مترادفة
وفي هيكل الروح أرواح.

فكيف الخروج من إسار التكرار الرتيب
كيف السبيل إلى كسر ملال التراكيب
البدء يكون باستكناه الداخل
بعده يأتي استقصاءُ ساحة الخارج.

ينفتح الحدق الذي داخل الأحداق
يستضيء الفؤادُ الذي وراء الأفئدة
تنطلقُ الرُّوح الكامنة طيَّ الأرواح
تنزاحُ الأستار عن نوافذِ النوافذ
يتواربُ البابُ الذي وراء الأبواب
يُرتقى رأسُ الجبل الكائن خلف الجبال
يُسرَّح النظر في سماء وراء سماء.

في عالم تناءى عن التراكب
تتشعب الطرقات في كل اتجاه
ذاك ربما هو عالم الحرية.

(جاء الخاطر حُلْمًا، فجر يوم 13 من يناير 2014،
فدُوِّن في الصباح)

الهاتفُ الخلويُّ و"الإنترنت"

جماعاتٌ من الناس تهرع عبر الشوارع
في كل يدٍ هاتف محمول
يستوي في هذا فتياتٌ وعجائز
يتحدَّث كلٌّ عبر الهواتف
حتى الأطفال لحقوا بموكب الثرثرة الدائبة.

يصخب بعضهم، متهللَ الملامح
يتهامس آخرون بأسرارهم الدفينة
كأنَّ الواحدَ منهم يخاطبُ نفسَهُ في خفاء
وعلى الطَّرف الآخر من المكالمة
شريكٌ يحمل الحماسَ نفسَهُ لحديثِ الأسرار.

وقفتُ عند رأس الشارع

وقد سنح لي خاطرٌ غريب

تخيَّلْتُ خيوط هواتف مرئيَّة

اتصلتْ بين كلِّ تلك الهواتف الخلويَّة

كيف يصير الحال عندئذٍ؟

تتواصل في الأجواء مئات ملايين الخطوط المرئيَّة

أقصَرُهَا قد يبلغ عشرات الأمتار

أطولها قد يمتد آلاف الأميال

تُنسج منها جميعًا شبكة هائلة الجرم

تغطي القرى والمدائن الحضريَّة

تحيط بأطراف الكرة الأرضيَّة.

هذي شبكة ملوَّنة
فلكلٍّ خطٍّ فيها درجته اللونيَّة
ولكل نوع من المكالمات لونه الخاص
الورديُّ: للواعج الحبِّ وغرامياتِ العشَّاق
الأزرق: للتباريح التي يتحمَّسُ لها الشباب
الأصفر: لكلِّ الثرثراتِ والأحاديثِ العائليَّة
البنيُّ: لمكالماتِ الكهول وأشجانهم المترعة بالشكوى
الرماديُّ: للتجَّار ومساوماتهم على الأسعار
الأسود: للمراوغاتِ والحيلِ والدسائسِ السياسيَّة
العالم؛ كما يتبدَّى لعيني، هو:
شبكة خلويَّة عريضة مختلطة الألوان.

لن تفرغ جعبتي من كلِّ تلك الخيالات
عن الشبكة الخائليِّة المتوهَّمة
أتخيَّل إذا انقطعتْ عن الهواتفِ فجأة
خطوطُ الاتصال العالميَّة
وسقطتْ فجأة كلُّ الإشاراتِ غير المرئيَّة
أتخيّل لحظة الاهتياج والفزع الكاسح
بين حشود المستخدمين للهواتف الخلويَّة
أتخيَّل ظهور علاماتِ الذهول والإحباط والقلق
مثلما تظهر البراعم البرِّيَّة الزاهية في الوديان
حينئذٍ، تتبدَّد الشَّبكة المحيطة بالأرض
فلا يتبقَّى منها أدنى أثر.

كم أتوق إلى
سكونٍ يعقب هيجان الصَّخب المسعور
عسى العالم يستعيد حالته الأصليَّة
أن تهبط الشَّبكة الكبرى الطنَّانة من عليائها
إلى هدوء الأرض ومقام السُّكون
فتذوب في حشود المتأمِّلين والمتدبِّرين الأفكارُ
وأن تترابطَ القلوبُ النابضةُ، رغم المسافاتِ
فلم يكن لجسورها أن تتكسَّر
كم كان ينبغي لصلاتٍ أن تتناءى وتنقطع
على الرغم من أن ما بينها لا يعدو مسافة ذراع.

يناير 2015

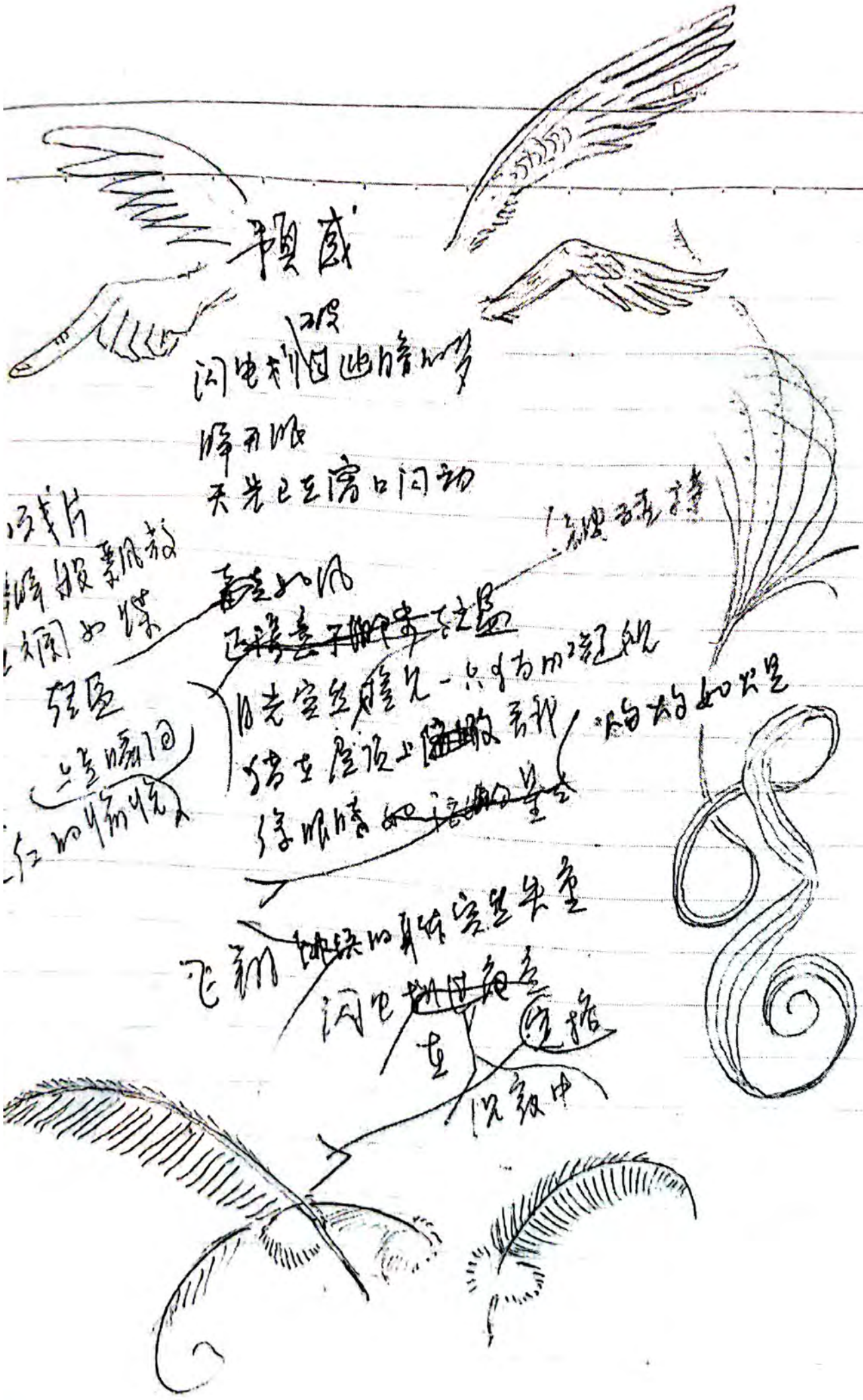

رقصةُ حُبٍّ على الطَّريق

يراعتان ضئيلتان ضاربتان إلى السواد
من بين أعشاب الطريق أطلقتا الجناح
على قارعة الطَّريق الواسع الموحل التقتا
تراجع الجناحُ المحلِّق وانغمد في هدوء
رقصا معًا رقصةً للحبِّ.

هنا؛ حيث لا خَطَرَ من الديدانِ والزواحف
ولا عراقيل من أوراقٍ ذابلة وأغصان
هنا؛ حيث فراش منبسط في خلاء المكان
تحرَّرت مشاعر مكبوتة بين شجيرات الطريق
كأنها الرغبة التي انغمد سُعارها بطول الزمان.

كان الجناحان يتراشقان
والرأسان يلتقيان
كانا يتراقصان، يهتزان، يتقلَّبان
كان ثمة التفاف يتمازج فيه الأنا وأنت
التفاف حميم تذوي فيه الإنِّيَّات

دارت الرياح بصياحهما معًا
ردَّ الهواء تراتيل عشق فيَّاض، طلق العنان.

ساعتئذٍ، أقبلت شاحنةٌ ضخمة
تهدر بدمدمة هائلة، من الاتِّجاه المقابل
إطاراتها العريضة تسحق صفحة الطريق
كان العشق يشمل اليراع بلحظة من فيضه
عاشقان في سذاجة الحسِّ
غافلان كانا عن كارثة داهمة.

خُصلاتُ شَعْرٍ

شَعْر رأسي
كان ذات يوم ناعمًا يتشح بلونه الأسود
هدير موج يتقلَّب تحت الشمس
يعكس في خصلاته قوس قزح
عشب نضر كثيف يتماوج مع الرِّيح
عشب يلوح بيديه راقصًا في وجه الدنيا.

كثيف السواد؛ لكنه
يمتزج بكلِّ الألوان النَّابضة بحياة
كثيف سواده، قد ألقى على النَّهار تحية الوداع
رغم أنه يعاند كي يلحق بآخر ساعاتِ الليل
قبيل بزوغ النهار
مسار حياة الخصلات السوداء
اختصر الزمان الطويل في لحظة.

متى ينقلب الأسود إلى أبيض
أبيض كالرماد، كنثار جليد
أبيض كهذا الخواء الخشن
تنهيدةً اخترقت جبل الثلج

تلك الخيوط الحريرية
باقية ما زالت في مفرقي
لكنها تتناقص بمرور الأيام
تهب الريح، تنساب مع تيارها الخُصَل
تقول الريح للخصلات: أرضكِ صلبة
فلن تُطَيِّرك أو تقصمك أنفاسي.

9 من يناير 2015

بَصْمَةٌ

فيما عدا آثار خطواتي
التي طبعتها فوق طرقات هذا العالم
فقد خلَّفت بصماتي الدقيقة
فوق كل المواضع التي لمستُها
إذ أودعتها أثرًا خفيًّا من أصابعي.

ثدي أمي
كتف أبي
خدّ حبيبتي
يد طفلي
ملابسي القطنية، والكتانية، والحريرية
صدر سترتي الذي انثنى في هَبَّة ريح
حافة قبعتي التي بلَّلها المطر.

أطباق وملاعق، أكواب وفناجين، آنية الشاي
أقلام وأوراق، صحف وكتب، آلات حساب
سارية العلم، أصابع البيانو، مَبْسِم الناي
حافة السُّلَّم المنثنية
العصا القديمة والشمسيَّة المهملة
أشكال وألوان من المفاتيح
عدد لا حصر له من مقابض الأبواب

.....
الأرز والكعك، عصير الثمار، الفواكه والخضراوات
أطبقتُ عليها فمي ومضغتُها
هشَّمت بصماتي بأسناني
أبقيتُها تارة
وأزلتها أخرى
مَرَقَتْ أجزاء من بصماتي في بلعومي
انْهَضَمَتْ في معدتي التي قرقرت جوعًا
امتزجتْ بعصارة جسدي دمًا ولحمًا

بصمات يدي
انطبعت موضع الندى الصافي
وفوق البراعم البازغة
وأهداب النبات وتويجاتها الخجلى
وكل الفراشات التي اصطدتها وأطلقتها
وقصاصات الأجنحة اللامعة التي
طبعتُ بها بصماتي ذات مرَّة
ثم طارتْ وحلَّقت ملء الفضاء.

يناير 2015

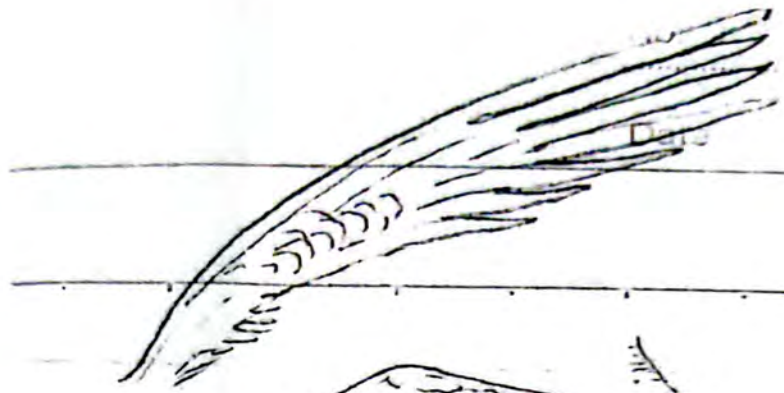

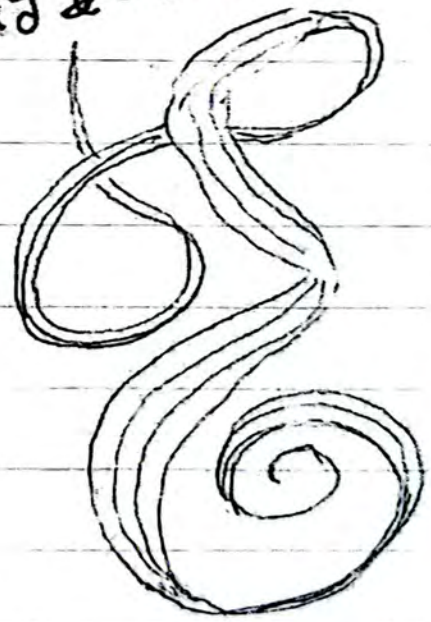

ظُفْرٌ

لا أفكر أن أشغل نفسي بحثًا
عن الأماكن التي امتلأت بقُلَامَتِها
ولا أريد أن أشغل نفسي استقصاءً
عمَّا حاق بكل المواضع التي انحفرتْ فيها
لكنني أتأمَّل في حيرة
كيف عجزتُ عن قطع دابرها
رغم دأبي الشديد على قصقصة أطرافها؟
كيف تكاثف نماؤها، كأعشاب مرعى
كأوراق شجر وثمر وغصون
كشعر رأسي الباقي على الأيام
بقيتِ الأظفار تتجدَّد دون انقطاع
تحت طراوة هيكلها توارى معدنها الصُّلْبُ
وفي خشونة مادَّتِها احتجبت ليونة القلبِ

ماذا لو أني لم أستأصل أطرافها
تُرى، على أيِّ شكلٍ كان يمكن أن تصير؟
ماذا لو كنتُ زاهدًا أتنسَّك في سكون العالم
أمَا كانتْ تستطيلُ أطرافُها ككرمة
تحيط بكفي وقدمي أغلال ثقال
تلفُّني بحبالها كوثاق متين
ترمي بي كومة مهملة في زوايا السنين
تتمدَّد أظفاري فتحجب الدنيا بأسرها
يغدو العالم ظلمة حالكة
.....

أما لو كنتُ راهبًا متجولًا
أتسلَّق الجبال وأشق غمر البحور
فما أظنها كانت تعوقني
وتنصب لي العثرات على الطريق
ذلك أن أشواك المسالك وحسك الدروب
وأحجار الجرف وصخر المرتقى
كانت ستشحذها وتُقَلَّم منها الحواف الطويلة
تتناثر القلامة وبقايا الأظفار
علامة باقية في مواضع الترحال
.....

لكنني أبدًا سأقطع منها ما استطال
سأجعل مقصَّاتي في أفواهها قُبلات
لا تفرغ منها جعبة الزمان
سأظل أسرح بالنظر معجبًا بشكلها
حين تفرغ من تهذيبها الشفرات
ذلك أن مثل هذا الاستئصال
هو ثمن الحضارة
هو ثمرة خروج أجدادنا من الغابات.

يناير 2015

لَوْنُ الحُلْمِ

ينقضي الحُلْم في غمضة عين
فلا يبقى منه في الذَّاكرة
إلَّا نثار صورٍ تحتفظ برونقها

أرى في النوم أحلامًا زاخرة بالألوان، أحيانًا
تتبدَّى لي أبهى من الواقع
أزهى كثيرًا من المشهد الحي بعين الأيام
بعض المنامات تختزل ألوانها
في الأبيض والأسود ليس غير
كأنها بعض صورٍ متهالكة
من تراث شاشات العرض القديمة

في الأحلام الزاهية الألوان
أتجول، أسافر، أرقص، أطير
يصحبني في الترحال جناحان
وسحابات وردية، وباقات أزهار
يهُبُّ من كلِّ الجهات إعصار

يشملني بأعطافه ذات الألوان
يأتي بجوقة ألحان، يفعمني بشذا عطور
يسقيني بالرغم مني كؤوسَ حلمٍ
خدر النشوة يملك عليَّ مكامن الحسِّ
أتطلَّع في المدى الضبابي
تطل عليَّ آلاف الكُوى والمَزَاغِل
تفيض كل كوَّة
ملء البصر ألوانًا تبهر العين
.....

في الأحلام ذات اللونين
الأبيض والأسود
أقاوم، أثابر، أجري
يتبدَّى لي في الأحلام:
أخدودٌ وهاويةٌ وجرفٌ صخري
دوَّاماتٌ وسيولُ جارفة
وموتى يزورونني بعد غيبة
نلتقي دون أن نتبادلَ الكلمات
نجلس ويحفُّنا صمتٌ مرسوم
بالأبيض والأسود
أستيقظ دومًا خائرَ القوى
أستيقظ فأجدني لصق جسد العالم الحي
عالم قد تبدَّدت ألوانه
.....

لكنني ما زلت حتى الآن عاجزًا
أن أعرف من أيِّ نبعٍ
تنهلُ الأحلامُ الأفراحَ والمسراتِ؟
يتصارع الحلمان: الأبيض والأسود
يهصراني بينهما
يعتصراني كشِقَّيْ رَحَى
يتحوَّل المنامُ حينئذٍ
إلى لون رمادي معتكر الأديم.

أول فبراير 2015

حَدْسٌ

انصدع الحُلْمُ الهادئ في وَهَج البَرْقِ
فتَحْتُ عينيَّ على اتساعهما
عبر النافذة كانت السماء رعدًا وبريقًا

تفرَّق الحُلْم شذرات
تناثر كتويجات أزهار
كفراشاتٍ زاهيات اللون
كدفقة رياح رشيقة الرَّقصات

الفرحة في أحداقي
لم تبقَ سوى طَرْفَة عين
بعدئذٍ، لم يكن هناك ما يَسُرُّ النظر
كان ثمة قِطٌّ فوق الأسطح
يتطلَّع نحوي، من علٍ،
العينان تطِقَّان بالشرر
اللون الأخضر في الأحداق
يقدح في الليل جذوة لهب

سقط الجسد الطائر في الأجواء
حين كان البرقُ الخاطف
يستكنُّ في إطار الصمت.

9 من فبراير 2015

أَحْبَالٌ صَوْتِيَّة

كانت أحبالي الصوتيَّة صافية الجَرْسِ
كأوتار قيثارة
حتى كانت قطرة من الندى
تصدر أكثر الطبقات رشاقة حسّ

كنت أظن أن الأحبال الصوتيَّة
أداةً صالحة للغناء
وأن طاقة الأنفاس في صدر العالم
يمكنها أن تهزَّ أوتار الصوت
وأن الناس صانعو ألحان
ما دامت أحبال النغم
تترسَّم إيقاع الطبيعة وألحانها
وأن جذبة أوتارها
تُصْدِر مقامات نغمية
وتآلفات (هارموني) بغير حدود

بيد أن هناكَ وقتًا للسكون
وحين أصاب الدنيا صخب ومسٌّ من جنون
سمعت صوتي الأجشّ
خشنت الأوتار بعض حين
احتبس الصوت في منطقة مجهولة
قريبة قدر ذراع، بعيدةً بُعد السماء

حين غلَّف الصمت الرهيب كل الأشياء
من حولي
أبى الصوت إلا أن يهز الأوتار الكسيحة
مناداةٌ كانت تشعل الألم في جوفي
مناداةٌ تشرَّخ منها الوَتَرْ
وليس في عالم الصمت
محلٌّ للصدى.

13 من فبراير 2015

غُدَّةٌ دَمعِيَّةٌ

إفرازاتٌ غامضةٌ
تحولَّت بها المشاعر إلى مادَّة سائلة
مرَّةً بعد أخرى
اخضلَّت بها عيناي

المسرَّةُ والأسى كلاهما
احتشدا في مادة شفَّافة (بللورية) صافية
غطَّتْ أحداقي بغمرها
وغبَّشتْ في عينيَّ مرأى الأشياء

أطلقتِ الغدَّة الدمعيَّة أحسن ما في جعبتها
لأنَّ عاصفة ترابيَّة أقبلتْ بالمواجهة
لأنَّ رصاصة طائشة اخترقتِ الأحشاء
وكلُّ علامات الفرح والدَّهشة التي تبدَّدت
وكلُّ وداعٍ وفراقٍ أخير لا فكاك منه

قد ذابتِ الدُّموع وتبخَّرت في الهواء
لكنَّ الغدَّة الدمعيَّة لم تضمر بعد
بل ظلَّت آثار الدَّمع باقية
في انشعاب عروق أوراق النَّبات
الْتَأَمَتْ بنثار الذِّكريات
وصارت أوراق تفَّاح بريّ
لا يذبل على مرِّ الزمان.

17 من فبراير 2015

مُخَلَّفاتُ فَقِيد

أكثر من حياة غالية
فارقتها فراق الأبد
وجسد كان دافئًا صار كتلةً من ثلج
ثم تحوَّل أخيرًا إلى جمرة ولفح لهب
ورماد تبدَّد في الفضاء

لم يتركوا لي
سوى عدَّة أوراق
وبعضَ ثوبٍ أو رداء
وصندوق فارغ
محض مخلَّفات من جماد لا ينطق
وقد فارقتها حرارة أجساد الأحياء
فقبعت في برود وصمت ووقار
تستعيدُ على مهلٍ ذاكرتي

أوارقُ تحمل اسم الميّت
تتحرَّك الأحرف تحت الأحداق الفيَّاضة بالدَّمع
على حدةٍ يتحرَّك من تلقائه كل حرف
يُصدر صوتًا خافتًا في دفء
يشدُّني إلى لحظة مرقت في الماضي
أجلس تحت القمر
أمشي في الحقول البرِّيَّة
أخوض البحار ترحالًا
أعبر الجبال والأنهار
أسافر في شتَّى البلاد
.....

حينئذٍ، يعود الدفء
إلى مخلَّفات الميت، إلى بقاياه الباردة
ينقلب الرِّداء إلى بساط سحريٍّ طائر
يحملني فوق صفحة نهر السِّنين والأيام
نسبح عكس مسار النهر الهادر
يمتلئ الصُّندوق الفَارغ
بكَنْزٍ من الجوهر الوافر
تنبهر بالمشهد عيناي
تتوه في غبش المدى.

فبراير 2015

تَرَقُّبٌ

في هدوء الوقت أشتاق
إلى ضوءٍ يبزغُ من قلب المساريج المُطفأة
إلى صخب المفاتيح
في عيون المغاليق الموصدة تحت السُّكون
إلى انتفاضةِ الستائر مع دفقِ الرِّيح
إلى خُطوات أليفةٍ فوق السُّلَّم المجهول
.....
كم أتوق إلى صوتٍ
يبدِّد العتمة
صوتٌ آخر غير ضجيج الصَّافرات
صوتٌ آخر غير اللِّهاث الخشن في أنفاسٍ مرهقة
غير صخب أجراس السَّاعات
ليته صوت دجاجة تقأقئ
ليته صدًى بسيط شفيف الصفاء
كمناغاةِ وليدٍ في قماطة الميلاد
رقرقةُ تسوق السحب الورديَّة في موكب الغمام
تنثر بتلات الزَّهر في صدر السَّماء

لم تعد بيدي حيلة
أن يكون للشَّوق محلٌّ في أشواقي
وسط السُّكون يتردَّد في سمعي صوت أنين
صوت الطَّائر الحزين
وجَّهتُ عيني صوب الأجواء
لم يكن ثمة أثر لرفَّة جناح

.....

22 من فبراير 2015

حين زارني الميْتُ في المنام

(1)

أبي الذي فارق الدنيا منذ عشرين سنة
تراءى لي فجأةً في الأحلام
جاء بغير موعد، دخل دون أن يطرق الباب
جلس قبالتي في هدوء
على وجهه نفس الابتسامة المعهودة
سوى أنه بعد حين كان مقطِّب الجبين
هتفتُ عاليًا في دهشة غامرة
ثم لم أجد ما أقوله بعدها
مددتُ نحوه ذراعيَّ
لكنه تراجع دون أن تفارقه الابتسامة

لم تحمل ذاكرتي صورة أبٍ مكفهرِّ النظرات
فقد كان دومًا ليِّن الأعطاف كسحابة عابرة
حتى وهو حزين أو مهموم؛ وقد ثقلت عليه التَّبعات
من قال: إن الواقع نقيض الأحلام؟
فقد كانت نظرات أبي لي في الحُلْم
هي نفسها كتلك التي طالعني بها في حياته
كم أتمنى لو رسخ الحُلْم داخل إطار
انطلقتْ صافرة السَّيَّارة في الشَّارع
أيقظتني بغير هوادة

(2)

ما كنتُ أخشى قطُّ
أن يزورني الموتى في أحلامي
فلطالما نزلوا عليَّ بغير استئذان
حتى تداخل عليَّ الفرق بين
تخوم الموت والحياة
سوى أنني عجزت عن مخاطبة الأموات
وقام بيني وبينهم الحجاب
كأنَّنا بضعة من فيلم صامت بالأبيض والأسود
تُعرض مشاهده في قاعة حالكة الظُّلمة

في النهار تَرِدُ على خاطري ذكرى الأموات
ثم يتعذَّر في الأحلام أن أطالع ملامحهم
أتلو في الليل صلاة صامتة قبل النَّوم
أقول لهم، تعالَوْا زوروني في المنام
كم أريد أن أراكم
ينفتح باب الحُلْم في صرير مسموع
يدخل نفرٌ من الغرباء
بعضهم مجهول الهوية
وثمة مَنْ عرفتُ عبر صفحات الكتب
وآخرون عرفتُ أسماءهم دون هوياتهم
رأيتُ ضيوفًا من القُدماء بملابسهم التَّقليديَّة
مثلما كان هناك ضيوف من بلاد بعيدة
ممن يرتدون أحذية جلديَّة

(3)

ذات ليلة، طال بي الحُلْم
كان نصفه الأول ضبابيَّ المشهد غائمَ الرؤى
أمَّا النِّصف الآخر فكان جليَّ المنظر رائقَ السَّاحة
كان القمر قد مدَّد أنواره السَّاطعة
حين رأيتُ صبيًّا لا يستره إلا سروال
يفتح عينيه اللامعتين
وهو مقبلٌ تجاهي
تلمع الأنوار فوق جسده النَّحيل
يحوم فوق رأسه سراب حشرات مجنَّحة
بدا كأنه يسحب طائرة ورقيَّة لها أزيز
مشى بجواري وهو يتطلَّع جانبًا
عيناه السَّوداوان
تترقرق فيهما دمعتان شفَّافتان
ترتعش شفتاه وهو يُلقي عليَّ بالسُّؤال:
يقول: ألستَ تعرفني؟

نعم أعرفُك، بالتأكيد
حتى في قلب الحُلْم، تستيقظ الذَّاكرة أحيانًا
كان ذلك حُلْمًا في قلبِ المنام
كان حقيقةً تجاوزتْ حدود الزمان والمكان
عُدْتُ إلى ذاك الصيفِ، زمن الطفولة
وأنت تضطجعُ مستكينًا في مستنقعٍ بجوار النَّهر
كان المياه قد ابتلعت عمرك الغضّ
وشمس ما بعد الظَّهيرة تميل فوق جسدك العَاري
كانت سنوات عمرنا متقاربة
بيد أنها كانت أول مشاهدة للموت
امتدتْ إليك يد الموت وسط الماء
أحالتك إلى جثة مجهولة الهوية
تحيط بك الوجوه تحت الشمس
ذبابة حطَّت على رمشك
فلم يطرف لها الجفن

(4)

فما الحُلْم إذن؟

مسار آخر للعمر

مسرح آخر للحياة

صورة شوهاء للواقع في الوهم

التجلِّي الأوحد للهالة النُّورانيَّة

إشارة ملغزة الأسرار

بروفة للقدر

لعنة أجدادنا الأولين

سبر أغوار القادم المجهول

أم هو برقٌ زائل

في أستار ليل الحياة والموت؟

بيد أنني حلمتُ ذات مرَّة بملك الموت
رأيته مجرَّد ظلٍّ باهت لوجه بغير ملامح
يسكب شبكة سوداء وسط الظُّلمة

حيث تلمع نقطة مضيئة في المدى
المدى الذي بدا معتكر الأديم
كانت تلك حديقة مليئة بالخشخاش
تنثر في الأجواء شذًا وافر العُرْف
كانت تلك يدًا طويلة الأظفار
تهتز بأصابعها المفرودة أمام وجهك
كانت تلك عربة مسرعة
تحملك وتقتحم بك هوة سحيقة الغور.

25 من فبراير 2015

أفكارٌ متَّصلة

القلم الرَّصاص بيدي
ذَكَّرَني بالشَّجرة التي تحوَّلت إلى قلمٍ رصاص
الدَّوحة الكبيرة التي انقطع جذعها
فلا بد أن أتذكَّر الغابة إذن
أذكر صخب المخلوقات داخل غابة

أشرب طبق حساء خفيف الملح
وأذكر الملح الذائب في الحساء
حبيبات الملح التي على هيئة حجر الرمل
ربما تذكَّرتُ البحر الكبير والموج الأزرق
الموج الهادر والسمك السابح كيف يشاء

عبر النافذة لمحت نُدَف الجليد بمختلف أحجامها وهيئاتها
خطرت في بالي رياح الشَّمال العنيفة

الرِّياح الباردة المعربدة في كل الأنحاء وسط العتمة
لم أتوقَّع أن تبادرني بزيارة عاصفة
زيارة تركتْ آثارًا محفورة على الأرض كوقع أقدام

لمحتُ الطَّائرات الورقيَّة المتراقصة في الأجواء
تذكَّرْتُ الصَّبيَّ اللاهث في الساحات
الصَّبيّ المتهلِّل فرحًا بمشهد طائرة ساحبة في الهواء
لم أكن أتوقَّع أن الخيط الرفيع بيده
سيجذب شيخًا ذا رأسٍ أشيب إلى سنوات الطُّفولة

أتحسَّسُ وشاحًا حريريًّا على صدري
وأذكر دودة القزِّ فوق أشجار التُّوت
شرنقةٌ تغزل حول نفسها قماطًا من حرير
كم راودها حُلْمُ التَّحليق والانعتاق من شرنقة
لم يدر بخلدها أن مصيرًا ينتظرها في قدور الغليان

سمعتُ أغنيةً حزينة
فتذَكَّرْتُ المغنِّي العازف على قيثارته، وحيدًا
المغنِّي الذي امتحن بمعاناة العزلة
شبع من المحن وارتوى من كؤوس المرّ
لكنه سيضفر من الأسى جدائل معانٍ جميلة.

27 من فبراير 2015

指甲

我不想这样
它们至多也就会不停的疼.
也不想增多
它们到这地方为什么要改
我只是奇问
为什么无数次剪伐
无法阻止它们的生长.
如除之草. 枝叶
也如我生之初它的生长
它们生长改变中的坚硬
总想动中的 柔韧
伸缩如我降身披甲
那它们还为什么用

假如此生从未对它们剪伐
它们是仍和角质降
我生命生命的总和
它们会长成长的藤蔓
把我捆绑在
我生路山海小小的角落
它们无须剪伐

"شياو" (مزمار البامبو)

أنا قصبة مزمار "شيو"
في جسدي ثمانية ثقوب
بيد أن كنز الأصوات بأحشائي ليس له حصر
كنتُ قبل أن أصير نايَ غناءٍ
عودًا ببطن الوادي وأغوار الصحراء
ينصبُّ رشح الماء الصافي
تحت ظلالي الخضراء المتراقصة

أقبع في انتظار شفتيك
أنتظر أنفاسك المخمليَّة المعبَّأة بالأحاسيس
تمرق أنفاسك في أوصالي
تعالَ، بأصابعك الدافئة
الْمَسْ منابع الصوت في عيوني
كنحلة تسعى بين تلافيف (سداة) الأزهار

تعرِّج أنفاسك في جنباتي
تحوم أصابعك الضاربة فوق ثقوبي
تصبح فتحة الصوت ورقة نبات
تصبح براعم أزهار
نفحة من شذا الورد
تصبح قطرة دمع

عندئذٍ، أكون قد استعَدْتُ كياني
أكون قد رجعتُ عودًا من البامبو مضرجًا بحمرة الخجل
أهتزُّ بملء مشاعر رقيقة
أتراقص، أشدو بالنَّغم الحزين
وسط عصف الرِّيح
.....

20 من مارس 2015

فَصُّ الرِّئة

ينفتح فصُّ الرئة وينغلق، حينًا بعد حين
يتواصل التنفس في كل ثانية ودقيقة
تتلاحق الأنفاس في دنيا البشر
الأجواء ليست مجسَّمة
لكن ثمة ما تجسَّد منها شكلًا ملموسًا
قد كان لها سحرها وهدوؤها
وصخبها وسعيها اللاهث
حتى لقد أطلقت الصدى الذي
هَزّ مكامن الرُّوح

ما أشبه رئتي أيام شبابي
بشجيرة وارفة النماء
رغم المنبت الصَّعب
وظلال العَوَز والعزلة المقيتة
ظلَّتْ رئتي تتنفَّس
ظلَّتِ النسمات طازجة وصافية

لم يكن لي أن أُقْبِلَ على التَّدخين
لهذا فقد تعافت رئتي من أخطار
السجائر والنيكوتين

قد شابت الآن سوالفي
ولم يعد يداخلني خوف الحطب المشتعل والدخان
لم يبق إلا خطر الأجواء الضبابيَّة
لا سيَّما أن كمامة رقيقة
لن تحجب الغُبار المتغلِّل في كل مكان.

21 من ما

غِشَاء الأُذُن

الأذن زينةُ الوجه
سواءٌ استقبلتِ الرِّيح كمروحة من عشب
أم دقَّ منظرها كقطعة نقديَّة نحاسيَّة مدوَّرة
فإنَّ حِتَارَيْها يبدوان كإطارين على أحسن نَسَق
يُبرزان ملامح كلِّ امرئ بين الناس

وأعجبُ من الأذن غشاؤها
يختبئ وراء حِتَار
كسجين في قاع صِوَّان
غارق في الظلمة أبدًا
بيد أنه سامعٌ لكلِّ صوتٍ
قادم من كلِّ الجهات

اهتزاز غشاء الأذن

هو ثمرة صوت الأجواء

قصف الرَّعد وزئير الرِّياح

طنين البعوض والذُّباب

غناء العندليب

نقيق الضَّفادع تحت الليل

وكلُّ حركة في أنحاء الدنيا

سواءٌ جاء صداها من بعيد

أم من أقرب سبيل

لا بدَّ ستُحَرِّك أوتار الرَّنين

إمَّا بطنينٍ ضعيف وإمَّا بصوتٍ جهير

غشان الأذن أقرب جوارٍ للمخِّ
والمخُّ يتأثَّر بما ترتجُّ به الأذن
يتَّصل الغشاء أيضًا بالقلب
على بُعْدِ المسافة
فحين يهتزُّ غشاء الأذن
ينبض القلب نبضات متوالية.. بنغ دنغ.. بنغ دنغ
فلطالما كان الصوت
نذيرًا بما هو آتٍ
ولطالما أثار النذير ألوانًا من المشاعر

الأصواتُ المختلفة
تُثير في كل أذن
صدًى مختلف الأثر
بعض الناس يسمعه فيبتسم
بعضهم الآخر تنساب دموعه
فمن ذا يستطيع منهما
أن يميط اللثام عن السرّ؟

21 من مارس 2015

جفن العين

وَعْثَاء طريق العمر ومتاعبه
أناخت على أهدابي
فانزاح عن الجفن غطاؤه

أنظر بجفن ذابت أهدابه
إلى جسد العمر الكبير
تخلع الأيام معطفها
تحت نظراتي المحدِّقة
أتطلَّع إلى التعاريج فوق الجسد الكبير
تلك الأخاديد العميقة التي لا يُسبر غورها

وسط العتمة
يصدر عن رميم العظام شعاع يترقرق
تنتفض الفراشات مذعورة من وسط الشقوق
تثير نسمة هواء خفيفة برفَّة جناح
تتدافع نحو أجفاني.

25 من مارس 2015

الأبد

كل لحظة شاردة
هي الأبد الذي لا يعود
كل التقاء نظرتين
كل مصادفة عابرة
كل وقفة خاطفة
كل اندفاع حائر
كل دمعة عين سالت بغير نشيج
كل ابتسامة رفَّت فوق شفاه بغير صخب
كلها أبدٌ
كلها عين الأبد

تريد أن تقبض على
الصَّوت بجانبك ولألاء النور
سوى أن الانطباع المفاجئ
قد تلاشى وتبدَّد منه الأثر
كل لمحة برق
كل نسمة ريح
كل تنهيدة
كل دقة جَرَسْ
كل تغريدة طائر حلَّقت في السماء
كل صدى الأبواب والنوافذ حين تغلق وتفتح
كلها أبد
كلها أبد.

29 من مارس 2015

ظِلِّي فوق الأرض

لو سألتني عن أخلص صديق
لقلت لك إنه
ظلِّي فوق الأرض

ظلِّي الذي يتبعني دومًا
سواءً أكنتُ فقيرًا أم موسرًا
حزينًا أم متهلِّلًا
فوق أرض ذات ازدهار ونماء
أم في صحراء مقفرة
أينما مشيتُ
يلتصق ظلِّي بحافَّة قدمي
يتبعني غاديًا ورائحًا

في الفرق بين الإنسان والشيطان

يقال: إن الإنسي يتميَّز بأن له ظلالًا
ظلال الإنسان تتبعه أينما كان
أمَّا الشيطان فهو في معزل عن الخيال
فكيف يكون شكل الظلِّ؟
ذلك ما لا علم لي به
فهو أحيانًا يصير ضخم الجرم
بحيث يبرز ضآلتي
وفي بعض أحيان يتضاءل
حتى ينزوي تحت كعب الحذاء

حين أحمل النور على كتفي
يتراقص ظلِّي أمامي
وحين أستقبل الضوء وأنا أجري
لا أجد للظِّل أثرًا
ألتمسه في الظلمة
فأجده قد انسلَّ هاربًا
فإذا ما ظهر خيط من النور
أعثر عليه بجواري

بيد أنَّني أشدُّ الناس جهلًا
بظلِّي فوق الأرض
يا ظلي، دعني أسألك:
هل تحزن؟
هل تفكِّر؟
هلا ابتسمتَ لي؟
هلا بكيتَ معي؟
لكنَّ الظلَّ صامتٌ أبدًا
يصمت حتى يُصيبني الخرس

100

إذا ما ضاع الفرق في هذه الدنيا
بين إنسان وشيطان
فمِنْ حُسن الحظِّ أن هناك الظلال
أتجنَّب الأشباح التي عُدِمت الخيال
وأُصادق كلَّ مَنْ كانت له ظلال
يستطيع الظلُّ بصمته المطبق
أن يلفت انتباهي بلمحة عابرة
يقول لي: أنت إنسيّ
فلابد أن تتَّصف بخصال إنسان.

5 من إبريل 2015

دار ضيافة في نهر الأيام

يمشي الزمن الماضي عكس الاتجاه
تختلج في حركته شعرات سوالفي الشائبات
أمشي إلى الخلف، أعود القَهقَرَى
أرى المشاهد تتقلَّب بجانبي في غاية الروعة

يُحَوِّم الطير في قلب السماء
ويهبط سريعًا فوق أهداب الغابة
تسقط الأجنحة الممتلئة في لحظة خاطفة
تسقط فتصير فروخًا صفراء المناقير
تضرب بأجنحة ملساء
تصرخ طلبًا للطعام
تنطلق زقزقات الطيور
ثم تهجع فوق بيض مختلف الألوان
ترقد في أعشاش أقيمت من حشائش مجدولة

تتناثر الأعشاش في كل مكان حول الشَّجر
تسبح الأوراق الذابلة كفراشات
تطير حول الأغصان برشاقة
تعود الأوراق إلى الأغصان كألسنة مدلَّاة
وتعود الأغصان إلى جذع الشجرة كأنها أذرع ممتدة
تستعيد الأرض جذوع الشجر
تتبدَّد الظلال عند رؤوس الدَّوْحِ
تتقلَّص الشَّجرة العظيمة إلى شتلة بازغة
تصبح الشَّتلة نباتًا طالعًا
يتهادى مع الرِّيح

يسقط النَّبات على الأرض
تلتقطه أيدي السَّائرين
العابرون الطُّرقات مسرعين
يتحوَّل كل واحدٍ منهم إلى ساحر

يؤوب الشَّعْر الأبيض في رؤوس الكهول إلى السواد
تزول كلمح البرق تجاعيد السِّنين
تهرول الأقدام بخفَّة ونشاط
تعود النظرات المعتكرة إلى الصَّفاء
يتحوَّل الشيخ السائر إلى شاب مليح
والعجوز تمسي حسناء
يجري الشباب والبنات فيعودون أطفالًا في الميلاد
يصرخ الأطفال صرخات تنصدع منها الأجواء
ينتبه الكون من حلمه وسط الصُّراخ

انتباهة من حُلْم أشبه بفيلم
من الخيال العلمي
تتحوَّل أنهارُ الجليد العريقة إلى جدول ربيعيٍّ دافئ
تنضر خضرة التُّوت في ساحات شاسعة
كصفحة بحر من زمرّد
تتراجع الأمواج الهادرة إلى نقطة ف المدى
تنتصب من قلب النهر الجافِّ سلاسل آكام جبليَّة
تنشق رؤوس الجبال رويدًا، ينبطح ركامها

ليصبح أراضيَ قفر شاسعة وفلوات
تغرق الفلوات في مدِّ الأمواج العنيفة وجزرها
تطوي حركةُ الأمواج أنحاءَ الغابات
تنفث الغاباتُ لهاث حشائش متقلبة الذُّؤابات
ينشق وسط الحشائش عن جدولٍ متعرِّج المسار
تسبح في الجدول سمكة
تقول السمكة: أنا جدُّك الأكبر.

(وُضِعَتِ المسوَّدة الأولى في يناير 2015
جرى تعديلها في 4 من مايو)

شعاعٌ من النُّور

إلى غرفة بغير أبواب ولا نوافذ
تسرَّب شعاعٌ من النُّور
انشقَّتْ منه العتمة
شاع الضوء في جنبات العَدَمِ المُعْتم

أهلًا بك، أيها النُّور
نقاؤك البهيُّ اللامع
يمنح الفراغ مزيَّةً
شعاعك النازل في الظُّلمة
صار عمودًا يبهر العين ضياؤه
كأنك من (الكريستال) الأصْفى
أو قطعة من جليد
هل تنفذ إلى الحرِّيَّة؟
هل تنفذ بك الدُّروب إلى فضاءٍ
يتَّسع لأجنحة مشرعة؟

أنت صامتٌ كنقاء بللوري وضَّاء
كأنك تستخدم نورك محرِّضًا على السؤال:
لماذا لا تأتي وتجرِّب؟
اقبض عليَّ، تسلَّقني
اتبعني وأنا أهرب من حالك الظُّلمة
الحرِّيَّة والمحبس

ليس بينهما سوى خيط رفيع

مدَدْتُ يدي
إلى عمود النُّور في العدم
فوجئتُ بيدي التي هربت منها الدماء
احمرَّ لونها تحت وهج الضياء
القطرات القليلة الباقية من الدم
انصبَّت وسط شفافية اللون الأحمر
ذابت في جسم عمود النُّور

وإذا بشعلة الضوء الباردة
التي ليس للإمساك بها سبيل
تصير دافئة فجأة
كتيار كهربي يسري في جسدي
أهلًا بك، أيها النُّور
خذني معك، هيا نخترق سطح الغرفة المغلقة
نخرج كي نعانق العالم خارج الجدران

أغلقت عيني
حملت بكفي شعاع النُّور العدمي
انهار الظَّلام
تحوَّل صوت الانهيار إلى قبسٍ من ضياء
احتشد فيه بَرْقُ الكون كله
انصبَّ عليه شعاع البرق من الجهات كافَّة
مخترقًا صخب الظُّلمة
سكونٌ، سوى أنه محوط بالمجد والإبهار

وسط السكون
تحوَّلْتُ إلى شعاع.

إبريل 2015

تَحَوُّرٌ جسديٌّ

كم جرى اغتيالي
مرَّة بعد مرَّة
على أسطر أشعاري
في كلماتي المبعثرة
جمعتُ الكلمات من فوق الطريق
لم أجد في تلك البقايا
عبق أنفاسي الأولى
القسم بالثقة في الذات
الشكُّ في تشوش ذهني
ليس هذا صوتي الذي أعرفه
ابتسامي، شفيف دموعي، نفثات صدري
ليست سوى ندوب
.....

كنتُ مثل غريق
وسط تيارٍ دفين، كثيف التَّيَّار
أقاوم، أرتعش، أختنق
أمد يدي فوق الماء
مثل غصن سابح ضد مسار
أتقلَّب في دوَّامة
سمعتُ صراخي
تمزَّقَتْ أوصالي
في صمت مطبق، دون نأمة صوت
.....

عندما جَنَح جذعُ الشجرة
رأيتُ الدوَّامات تتباعد
وسط التجاعيد التي امتلأ بها وجهي
تفجَّرت أغصانٌ يانعة الخضرة
استدرت مستقبلًا السيل القادم تجاهي
فإذا بي قُبالة لهب أزرق
لهبٌ يحفُّ بجبل من جليد
رأيتُ الليل بصحبة الفجر
سمعت نسمة الرَّبيع تمشي في إثر الشِّتاء
سكون، سكون، سكون
.....

عندما تبدَّى جسد العالم هادر الحضور
تحوَّر جسمي وعدْتُ مرَّة أخرى طفلًا غضَّ الإهاب
كنتُ خالي الوفاض
أمام تيارٍ نهريٍّ ملتجٍّ الأمواج
كل ما ترسب متراكمًا في مخزونه
تبدَّد وذهب سدًى
عدتُ إلى زمن الغفلة
أتأمل العالم من جديد
وأدعُ العالم يتعرَّفني، على مهل.

مايو 2015

سهمُ الوقت

وسط ظلمة العدم الحالك
نفذت رميةٌ لا سبيل إلى صدِّها
برفقة الصياح جاء الصمت
وبعدهما في الحال
خَمَدَتِ الأشياء

نفذت رشقةٌ
في جنبات العالم
تحوَّل جبل الجليد إلى نهر ربيعي
والغابة إلى مشتل أزهار
كل ما في العالم من مجد وانحطاط وفرحٍ وأسى
تشتَّت شظًى متناثرًا
تبدَّد ملء الفضاء
ثم أخذ يسقط مع نسمات الخريف

سرى بجوار أذني صوتٌ
فإذا ببقعة لامعة فوق الشمس تتطاير
إذا ببقعة الضوء على وجه الشمس تقترب منِّي
حين رفَّت بجوار عيني
ظننتُ أن الجفن سيقبض عليها
لكنَّها مرقت سريعًا
ثم تحوَّلت في الأفق البعيد
إلى نجمة شتاء.

مايو 2015

الآلام

ليس هناك حاجة لشفرة قاطعة ووخز مثقاب
ولا داعي لهرواة شديدة الضَّرب
لحظات الألم العابر
تمرق بفضاء الليل كوميضِ برق
الوخز الحادُّ ينغرس في صدري وقلبي
دون أن تتساقط قطرة دماء
بل حتى دون أدقِّ أثر
لا أدري أين الجرح تمامًا
سوى أن الألم يكتنف أنحاء الجسد
من وجهيَ العاري
حتى أبطن بواطن أحشائي
.....

تؤلمني حتى نسمة رقيقة عابرة
توخز مخَّ العظم وباطنه الأعمق
تحدِّق بيَ العيون أحيانًا
فأجد منها لهيبَ نارٍ وحريقَ سعيرٍ
تلاحقني الأسئلةُ الخفيفةُ حينًا
فينبسط تحتي فراشٌ من شوك وقتاد
.....

يجتاحني الألمُ معظمَ الأوقات
ولستُ أفزع من هذا
فالجسد ضعيفٌ وكلُّ حيٍّ إلى وهن
المؤسف في الأمر كله
هو الخدر الذي يكتنف الحياة
فإذا ما فقد المرء شعورًا بالألم
فهو أحقر من غصنٍ ذابل
من حجر تجمَّد تحت البرد

حتى شجرة حَسَكٍ
لن تنزف إذ تَقْطَع الرِّيح أوصالها
ورُبَّ قصبة في مستنقع راكد
يغزر عليها مسيل المطر، فيشملها الأنين
وتجزع فتصيح من وجع.

5 من يونيو 2015

طُغيان

تتقافز الأسماك في سقف الغرفة
تتراقص الطيور الورقية في حوض الاستحمام
تمخر المراكب عباب القمم الجبليَّة
تتطاير نُدَف الجليد فوق اللَّهب
فوق فراش الزَّوجيَّة
يتردَّد نباحُ الكلب التبتيِّ
وفي مهد الوليد
تتأرجح بيد الطفل نظارة طبِّيَّة (سميكة العدسات)
وثب الفأر إلى مخبأ القطّ
واستولى عصفور الدوريّ على عشِّ العُقاب
.....

هو الاستيلاء فوق الحدِّ
الاستيلاء الذي لن يبقى سرمدًا
حتى لو كان لديك عشرة آلاف مفتاح
فلن تفتح ذاك الباب
الذي ليس لك
حتى إذا قفزتَ داخلًا من نافذة
فلن تجد لقدميك موطئًا
تصير الأرضية حينئذٍ كالشوكِ والإبر
توخز قدميك المرتعشتين فزعًا
اقفز إذن، اهرب في الحال
إلى أن يخور منك الجسد
.....
سلة البامبو لا تحتفظ بالماء
ولا الشبكة تُبْقِي في باطنها الهواء
والنظرات المجهولة
لا تنفذ في قلبٍ حصين.

17 من يونيو 2015

استنباتٌ

اقبض جيدًا على ساقٍ وأوراق
انزع الجذر الليفي من أعماقه
استنبِتْهُ في أرض غريبة
بعيدًا عن كهف حياته الأولى

انقل السيقان الجنينيَّة البعيدة
إلى العقل الحديث
كي تبرعم الأوراق والأغصان كثيفة
كثيفة فوق سوقها
هادرة بنمائها
كربَّة الرحمة "كوان ييين" تبذر الحنان
بألف ذراع وذراع
كخفافيش بعشرات الآلاف من الأجنحة
المشرعة نحو الفضاء

الرغبة في الهناءة الدُّنْيَوِيَ
تنْبَثُّ زهرةً للخيال
بتلة الظُّلمة
تويجة اللمعان الصافي
قلب الوردة المتعلِّق بأنفاسٍ مسربلةٍ بالغموض
العَفَن والشذا الرائق
الشقاء وعطر النبات الفوَّاح
عود البخور الممسَّك بزمام السِّنين والأبد
ينفجر
في أفق حاسَّة الشمِّ ومجال الرؤى

وسط الغبار الهابط
تنشقُّ بتلات زهرة طالعة
زهرة كَوَجهِ إنسان
ترتسم فوقها ضحكة غريبة
تجتذب إليها الفراشات والنحل أسرابًا
دون أن تسقط منها وريقة

سمعتُ صوتًا يتنهَّد
آآه، لستِ أنتِ
لستِ أنتِ الزهرة الطالعة اليوم.

يونيو 2015

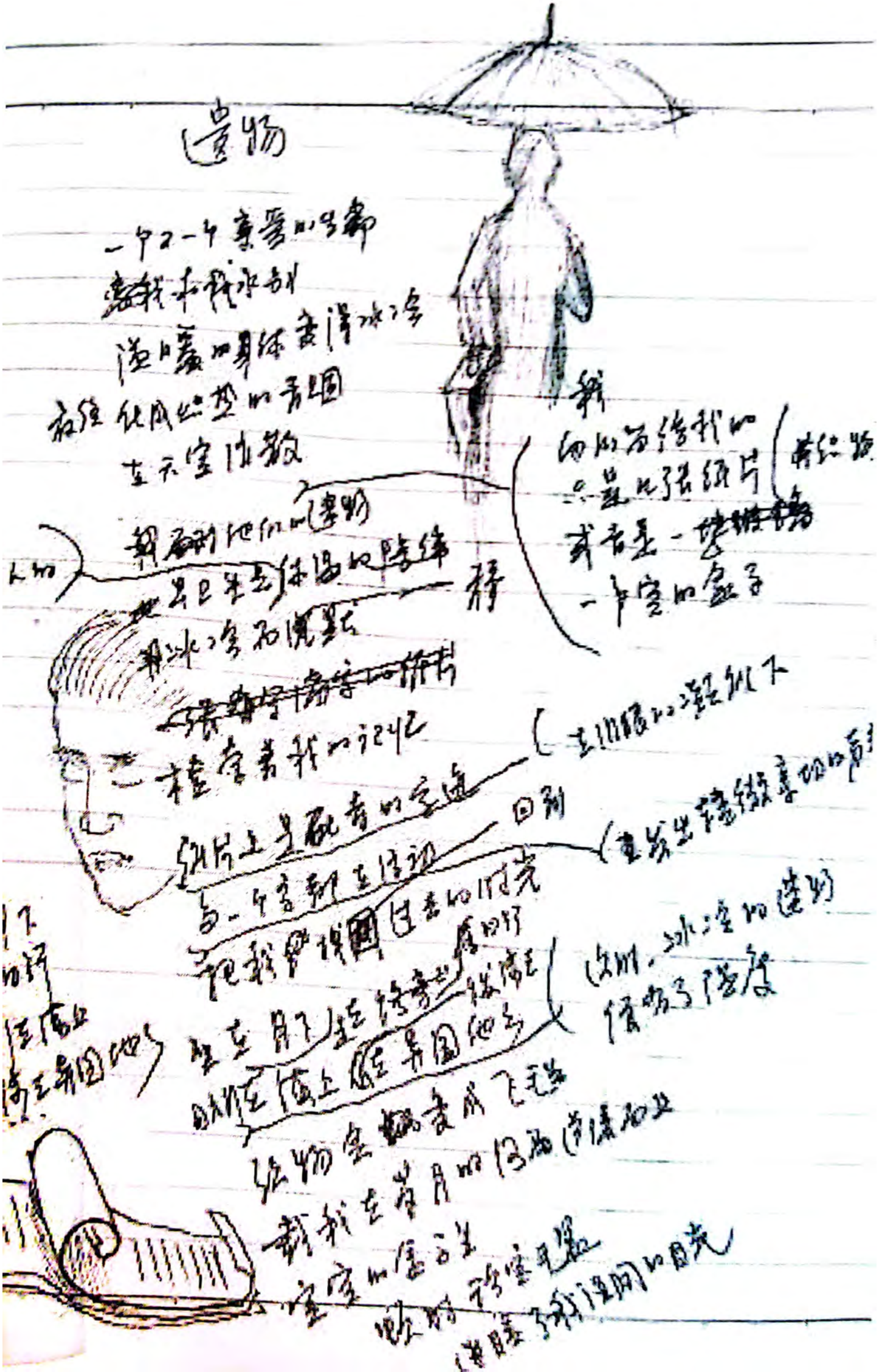

كم أودُّ النسيان

كم أودُّ أن أنسى
تلك الليلة الجريحة
أشلاء القمر والدِّماء
سوى أن التَّذكار ملتصقٌ بخلايا الذِّكرى
يغوص عميقًا ومؤلمًا
في لحمي

كم أودُّ نسيان ذلك الفيضان الغامر
الذي تفجَّر على حين غفلة
ذلك السيل الهادر
الذي تجمَّد بطيئًا وهو في مساره
فأنا النغمة التي تصلَّبَتْ وسط الماء
وقد خَرِس صوتها

كم وددتُ أن أنسى
ذلك الصوت الذي أنتشي بسحره
الجَرَس الساقط يُواصل سقوطه
ينساب الوقت مثل وَتَر قيثارة
ينتفض في كل فاصلة صغيرة
من زماني.

يونيو 2015

ملتقى الفجر والأصيل

الفجر والليل
التقيا في لحظة نادرة
عندما انكسر السكون عند أول صيحة للدِّيَكة
عندما انشقت ستارة الليل بوخزة نور الفجر
تلك هي لحظة لمعانِ نجمةِ أول النهار
لحظة رقرقة عرَّجت على سطح بحيرة الليل

ينقطع مسار الحُلْم
ينكمش الضوء عائدًا إلى منبعه
تنتفض براعمُ أوراق الإبيغيلوم تحت نسمة الليل
ينشرخ الحُلْم كأنه "بلحُ بحرٍ" يفتح صدفاته
تخْفُتُ أنوار المساء
وتلمع لآلئ الدَّمع

الظُّلمة أسدلت ستائرها الحالكة فوق العالم
وأطلقت غواية البحث عن النُّور
غواية الضَّوء وسط العتمة
الضَّوء الذي يُشِيع اللَّهب في عتمة الكون
النُّور والعتمة
بين تناقضٍ وتزايد

النُّور، يطلع في أفق الدنيا
على مهلٍ
تتبدَّل درجاتُه في لحظة
كلُّ ألوان الكون
تتجسَّد على ملمس يديه
لا يتسرَّب إلَّا الظَّلام

تبقى العتمة على قيد الحياة
تبقى في طاقة الضَّوء الساري في جنبات الكون
إن لم تكن تُصَدِّقني
فأغلق عينيك، من فضلك.

18 من أكتوبر 2015

على ذِكْرِ الموتِ

تذكَرْتُ الموت
طيفٌ من السكون أمام عيني
زهرة بيضاء
تتفتَّح حزينة تحت الظُّلمة
زهرة سوداء
تتشقَّق أكمامها بهدوء وسط بياض ناصع
لا يعود هناك وقت
لاستعادةِ ذكرياتِ رحلة العمر
ينسابُ الماضي مثلَ شهاب
يحترقُ ويذوي سريعًا
يبهر العين للحظة مارقة

صخبُ الناسِ بجواري
يتطاير كنُدَف جليد
يطير وسط عتمة السُّكون
ووسط الأنوار الباهرة
يذوب
يذوب
يتبدَّد منه الأثر
دون أن يسقط منه شيء
إذ يتسرَّبُ إلى شقوق الأرض

طافتْ بي ذكرى الموت

وانغمر القلب في مذاق شهدٍ كثيف الغموض

المذاق القديم

سواءٌ أكان مريرَ الشَّقاء

أم لاذعَ النَّدم

فسوف ينجرفُ مع المذاقِ

الماضي والمستقبلُ معًا

يتمازجان على نحوٍ رائع أمام عيني

يختلطان فلا يتميَّز أحدهما من الآخر

تبدو الحياة قرصًا دوَّارًا

يدور

ويدور

دارَ بصحوٍ وإعتامٍ وأمطارٍ وثلوج
دارَ بأغلال سيقانِ الكرم المتسلِّقة
دار بالضباب والفواصل والشقوق
دار بالقاعات
الوجوه ذاتُها المتظاهرة بالفرح
المفتعلة الابتسامات
دار بالميادين والسجون
وفي تلك اللحظة، كان يدور ليدخل
ساحة الحرية الحقيقية

تذكَّرْتُ الموت
وبزغ أمامي أمل
تحوَّلت لحظات الوداع الأخير
إلى ماضٍ مرَّ وانقضى
كل الأصدقاء والأقارب الراحلين
سيُديرون رؤوسهم بانتظاري
تبزغ وسط العتمة خطوط حريريَّة
خطوط دقيقة لا تُرى
بيد أنها تربط الأفكار
بعضها ببعضٍ
قُل: إنَّ الخيوط تقطَّعت
وصارت ترابًا وغبارًا
لكنها ستظل في ساحة الشعور
خيوطًا متَّصلة النسيج
هنالك، تلتقي النهاية مع عودة الحياة
من جديد
ربما كانت تلك هي الحياة
وقد عادت مع بَدْءٍ مُسْتَعَاد

تتفرَّق السُّحبُ الورديَّة
يتناثر النُّور
يشحب ضوء المصباح
تنسدل الأستار
الورود البيضاء والسوداء
تزهر معًا
في الظُّلمة الحالكة
في ظلال النُّور.

20 نوفمبر 2015

عاصفة

في الموضع القريب
على مرمى ذراع
لكنَّ يدي
لم تمتدَّ إليك بالمساعدة
هتفتُ باسمك بيني وبين نفسي لسنواتٍ طُوَال
مرَّت كأنها نفثة صدر ضئيلة
ناديتُ بأعلى صوت
جلجل الصوتُ كصخرةٍ تصدَّعَتْ
أنت قريبٌ إلى هذا الحدِّ
لكنَّك بعيدٌ أيضًا
بمرأى من العين
ثم إذا بك؛ وقد اختفيتَ بلا أثر

من أقصى الجانب الآخر من الأرض
تبعث إلينا بك الجهات أحيانًا
اللهاث المتقطِّع
ونبض القلب
يقطر على الحشائش
كحبَّات المطر
والطير يُحَوِّم فيما وراء السحاب
.....
يتراءى في الأجواء نازلًا
بيد أنَّني سمعت الصوت بوضوح

نسمة الخريف الهادئة
احتشدت بهدوء في عالمي
وتحوَّلت إلى عاصفة.

21 من نوفمبر 2015

ضياعُ الطريق

ضللتُ الطَّريقَ، فقدْتُ اتجاه الدَّربِ
لَمْ أهتدِ إلى باب بيتي
ضللتُ الطَّريق، ضاع منِّي الدَّرب
.....
سمعت في الحُلْم نداء أبي
وشيئًا فشيئًا، تولَّاني القلق والفزع
استيقظتُ فوجدْتُ جسدي مسجًّى في مقبرة
وشواهد القبور قائمة
كلها على نسقٍ واحد
أحجار جرانيتية مربَّعة
كأحجار (دومينو) انطرحت أرضًا
ليس هناك إلَّا
الصمتُ المَهِيب
ولا أملَ في العثور على طاقة الدَّفع الأولى
.....

كانت شتلة الصَّنوبر التي بَذَرْتها قديمًا
قد طالتْ وبلغتِ ارتفاع جبهتي
تمامًا على قدر طول أبي
تمايل غصنُ الصَّنوبر مع حركة الرِّيح
كل إبرة من الصَّنوبر
حملت قطرة من النَّدى
تتساقط بغزارة من عيون تلمع صافية
.....
ينزل نور النَّجم في الليالي زائرًا
تعصفُ رياح المساء
بكلِّ باب حجريٍّ مغلق
تنتقَّل أقدام العابرين
كراياتٍ باللون الأبيض والأسود
تتنقَّل الخُطَى فوق رقعة شطرنج
في دروب مستقيمة، ضيَّقة
ورغم هذا فهي الدروب التي
تضلُّ بها أقدام السائرين
.....

أين أنت يا أبي
لا بد أنَّكَ تُبغض الدرجات الحجريَّة الضيِّقة
تُبغض جنباتها المعتمة
لذلك خرجتَ كي تتجوَّل في الأماكن
طالما كنتُ أضلُّ الطُّرقات وأنا صغير
وفي كل مرَّة كنتَ تعثرُ عليَّ
فكيف يتوه بك الطريق بك، يا أبي؟

.....

كنتَ حبيس غرفة ضيِّقة قبل وفاتك
قلتَ: إن غرفتك في الحياة الآتية ستكون أوسع كثيرًا
قد صرتَ الآن رمادًا تذروه الرِّيح
تُحَوِّم في السماوات كيف تشاء
لكنهم أرسلوا بك إلى هنا، آخر المطاف
فصرتَ في غرفة أشدَّ ضيقًا
بصحبة حشد من مجهولي الهويَّة

.....

لقد ضللتُ الطريق.. ضللتُ الطريق
صوتُ أبي يأتي من بعيدٍ؛ لكنه قريب أيضًا
قد ضللتُ الدَّرب.. تاه بيَ المسير
أفنية المقابر شاسعة وعميقة الغور
لا أحد يدري أين تكمن نهايات الحلم
تأتي الإفاقة مرَّة بعد مرَّة
وعند أطراف الوسائد دموع باردة
.....

أواخر خريف 2015

طيرانٌ

كم حلَّقت بي أجنحة الطيران
في محطات متنوِّعة كثيرة!
في كلِّ مرة ينطوي الصدر على أفكار
يُنبت القلب جناحين
يُحلِّقان بي حسب مشيئته
تمتلئ القوادم ريشًا كثيفًا
يصير الرِّيشُ رقيقًا كورقة، بعض أحيان

أطير كأنِّي عُقابٌ جارح
أتجاوز قمم الجليد
تصير الأرض مشهدًا في عين طائر
أطير كأنِّي إوزَّة برِّيَّة
أتجاوز قمم الموج الهادر
تضطرب روحي مع صدى التَّيَّار

أحلِّقُ كأنِّي طائر السنونو
أجثم على إفريز الجدران؛ حيث يتهادى دخان المطابخ
أستمتع بضوضاء العالم ودفء الكون
أطير كأنِّي نحلة
أسعى بحثًا عن سدَّات الورود في الجبال
أنهل من رحيق الشهد الطبيعي
وكم طرتُ كأنِّي ذبابة
كم حوَّمت فوق محابس الاعتقال العفنة
وفوق كدر الأشياء ونتن الروائح كدتُ أتبدَّد هباء

حتى بغير أجنحة كنتُ أستطيع الطيران
أطير كأنِّي سحابة وردية
ألمح دوابَّ الأرض الضئيلة من قلب الأجواء
أطير مثل نسمات رياح
أداعب كل مشاهد الخيال
وأحوِّم في الأجواء كأنِّي خيط دخان
أتلوَّى سابحًا في دوَّامات الهواء
دون أن أجد لي مستقرًّا
.....

20 من نوفمبر 2015 في ماكاو

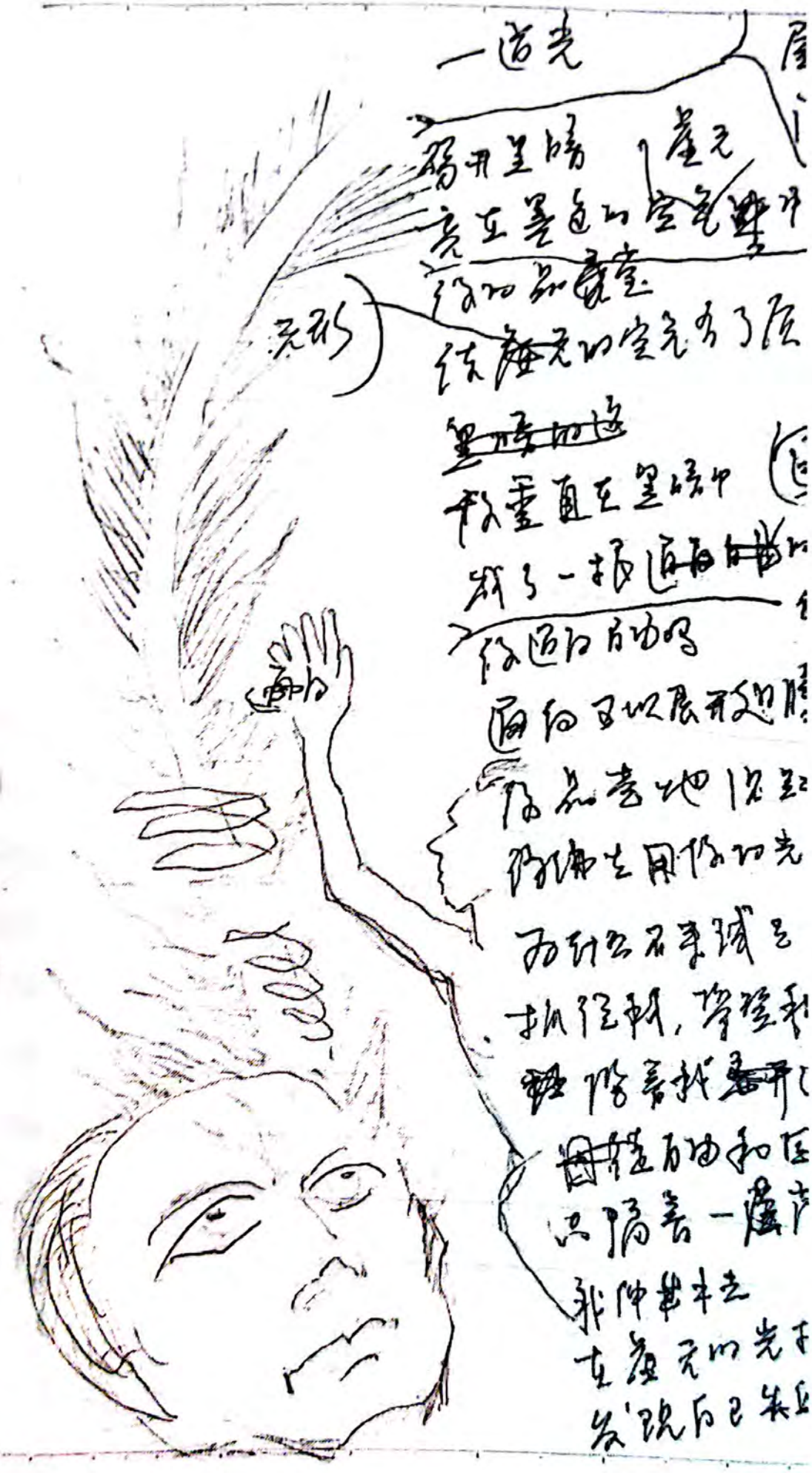

غوصٌ

كم تخيَّلْتُ
أنَّني قد صرتُ سمكة
ذاكَ هو التخيُّل المستمدُّ من ينبوع قديم
حيث كان
جدُّ الجدّ الجد الجد
الجد الجد السَّلف القديم
هو الجد الذي.....
كان سمكة في مهد الأيام

أغوص تحت الماء
أشتاق إلى أن يحتويني التَّيَّار الهادر
يتلقفني الصفاء ويدور بي دفق المسار
يداعبني الماء
يدلِّك ليَ الجسد السابح
أطرافي الأربعة كأنها أجنحة وزعانف
قدماي كأنهما ذيول ودفَّة تدفعاني في اتجاهي
أفتح عينيَّ عن آخرهما
أرى ظلال النور تحت الماء نثارًا مرقَّشًا
تبدو وجهة المسار غائمة في المدى

سوى أنَّني لا أجرؤ على التنفُّس
لا أجرؤ على أن أفتح فمي
أكتم أنفاسي فيتمدَّد داخلي بالهواء
أطير من أعماق الماء إلى الفضاء
أتمنَّى لو كنت سمكة سابحة في الأجواء
سوى أنَّني أعود إلى النهر الجاري
ثقيل الحركة غائصًا في بلادة
يتناثر الموج فوق رأسي
أحرِّك أطرافي
لكن الماء يعوقني
أحتضن دفق المجرى
أحتضنُ جدّ الجد الجد
سَلَفَ الجد الجد الأقدم
الجد الأكبر .....

نوفمبر 2015

الولوج معًا في ثلاثة فراغات

أرفع قدمي وأخطو فوق عتبة باب
أدخل ثلاثة فراغات مختلفة

أَلِجُ أحد الفراغات
باستطاعتي أن ألمس كل الأشياء من حولي
الشرائح الخشبيَّة فوق الأرضيَّة
إطار الصورة المعلَّق فوق الجدار
المصباح المدلَّى مهتزًّا من سقف الحجرة
رائحة الطلاء تملأ أجواء المكان
.....
تدخل الرُّوح إلى فراغ آخر
ذاك هو الزمن الهائم في التَّذكار
الملامح الباهتة
الصدى البعيد
كل تلك المرَّات التي
شَهِدَتْ أكثر من حياة وأكثر ممات

ينسرب الفكر والشُّعور أيضًا إلى فراغ آخر
ذاك هو موطن السِّرِّ الآتي
وسط النُّور المرقش بالظِّلال
تلصُّصات مجهولة تحت سطح الأشياء
تبرز في كل ركن وزاوية
آثارها العجيبة
.....
أدفع مصراع أحد الأبواب وأدخل
أشعر بأن ثمَّة ثلاثة فراغات مختلفة
يتحرَّك الجسد في حيز الهواء الطَّبيعي
تتراقص الرُّوح بحرِّيَّة في ساحات الخيال
تتحوَّل الغرفة الضيِّقة
إلى مكمن شاسع المدى عميق الصفاء
.....

ديسمبر 2015

خطوط الكتابة

صُحبة العمر
كانت بكنف أقرب الأصدقاء
وبرفقة مجهولين باعدت بيني وبينهم الأوقات
أتداول طرفًا من سيرتنا معًا، في ستر الحال
تمرُّ أمامي جماعات من الناس
كأنَّهم صفوف تحت إمرة قائد عظيم
كأنَّهم مزارعون يحصون شتلات الزرع
كأنَّهم صبية في مجاهل العمر
يتطلَّعون بشغف في مدارات الأفلاك

نسيج مُقَصَّبٌ
في خيوط مزيَّنة بالألوان
كتلة مشعَّثة من خيوط
امتزجت بمتاهة
تفرَّقت بددًا في مجاهل فلوات
ذاك هو الشريد الحرُّ
المختبئ داخل معجم اللغة
ذاك هو الفارس المسربل بالأسرار

نفس الوجه
سوى أنه
يتَّخذ أقنعة ملامح هائلة بغير حصر
مساحة شاسعة من تراب وحصى
بيد أنها المساحة التي يندغم فيها ركام العمر
صخور مبعثرة في كل الأصقاع
لكنَّها قد تندكُّ فتصير طريقًا ممتدًّا
صوب المدى البعيد
صوب أهدأ الأماكن.

نوفمبر 2015

أين شرَدَ بيَ الحُلْمُ؟

حُلْمٌ كأنَّه رحمٌ
يحمل جنينًا تحت ستر الغيب
تتبدَّل ملامحه كلَّ غمضة عين

عندما حَلَمْتُ بجزيرة مقفرة
تحوَّل مدُّ الأمواج العاتية وجزرها
والشِّعاب الصَّخريَّة تحوَّلت أيضًا
إلى غابةٍ وحشدٍ من بنايات هائلة
تبرق فيها مصابيح النيون وتُطفئ
صار البرق يغزل شبكةً فوق أستار الليل
وتحوَّل الشِّهابُ إلى قطعة جليد
فوق النافذة

عندما حَلَمْتُ بالجنَّة الرَّائعة البهاء
تحوَّل الملائكة السابحون في الهواء
إلى خفافيشَ سوداء
كانت الأجنحةُ المنتفضة تغطِّي القمر والنُّجوم
والسَّحاب الغائم يتقلَّب في المدى
يُلقي بأستاره فوق قرص شمس يلتهب في الغسق

أحْلُمُ كأنَّني أركب عربات (المترو)
أنطلق من نقطة ضوء
مخترقًا سردابًا طويلًا حالك العتمة
واصلًا إلى محطة مليئة بالأنوار
وفي أعقاب كل محطَّة
ممرٌّ معتمٌ بلا نهاية
.....

عندما أفقت من النوم
وجدتُ ضوء النهار في كل مكان
يرنُّ في أذني
تساؤلٌ يخترقُ ظُلمة المكان
أين شرد بك الحُلْمُ؟
لماذا؟
لستُ أجد ردًّا على السؤال.

يناير 2016

سلسلةُ الظَّهْر

تمتدُّ مستقيمة، مستقيمة، مستقيمة
سلسلة الظَّهْر التي انحنتْ على الرغم منِّي
سافرتُ بعيدًا، تلك السنوات، وأنا أحمل أعباء ثقيلة
تهرَّأ كتفي لكثرة ما حملتُ من أثقال
تصاعد الأنين الرتيب إلى أجواز الفضاء
الأرض تحت قدميَّ ارتعشت، الْتَوَتْ دروبها
لكنَّ سلسلةَ ظَهْرِي بقيت ممتدَّة باستقامتها

لا أذكر أنَّني ركعت منحنيًا أثناء الرحلة
رغم أنَّني كنتُ أحني رأسي المثقل، أحيانًا
كانت سلسلةُ ظَهري ممتدَّة على استقامتها
سواءٌ أكنتُ ماشيًا أم واقفًا مكاني
تمامًا كعمود انتصب صامتًا وسط قاعة
مثل العصا الحمراء التي كان يتوكَّأ عليها أبي

لماذا ينحني جسدي اليوم؟
هل كانت جاذبيَّة الأرض هي التي
حنت ظهري الذي كان منتصبًا
أم هي الشيخوخة التي مَدَّتْ من تحتي
ذراعَهَا القوية
فجذبتني واشتملتْ على كياني
ثم ألقت بي تجاه فناء المقابر

تمتدُّ سلسلةُ ظهري
مستقيمة، مستقيمة، مستقيمة
فما زلتُ قادرًا على الوقوف والمشي
في شيء من الإرهاق
أستطيع الاستلقاء على ظهري ناظرًا إلى السماء
ينبسط جسدي على الأرض الرحيمة
يتمدَّد كياني مستمدًّا الراحة بعد عناء
ترفع الأرض جسدي المنبسط فيتمدَّد ظهري المنحني
وبينما أنا راقد متطلِّعًا إلى الأجواء
أرى عند رأسي عصفورًا يرفرف بجناحيه

فليستقم ظهري ويتمدَّد، يتمدَّد، يتمدَّد
ظهري الذي لم ينكسر حتى الآن.

ديسمبر 2014

曾经飞过无数次
七不同的时刻
唯有不同的心思

如果
飞成鹰
飞越松雪的多峰

如果
飞成蒲扇
飞过
飞成盖子
飞进寻常人家的屋檐
飞成空调
也成飞成老牛
想在干燥的风发
变不出翅膀和能飞
飞成云彩
从高空俯瞰地下的楼群
飞成风
飞成火焰

飞成光
穿越黑暗的风发
无穷无尽的

毛
如果从心里长出来
那和羽毛相
那和钻石如何
几乎随心所欲

停止画笔
点亮生活的花朵

抚摸思念中的一切事物
那些旅客，无处着落
……

2015.11.20.
徐漫门

اللِّسان

غددُ التَّذَوُّق
تتوارى داخل مقدَّم اللِّسان
لا نعرف شكلها أو تكوينها
لكنَّنا نعتمد على حساسيتها
في تعرُّف شتَّى ألوان المذاقات:
اللاذعة والمُرَّة والحامضة والحلوة

جِذْع اللِّسان
يتَّصل بالأحبال الصوتيَّة
كلُّ عبارة أقولها
كلُّ كلمة
بل كلُّ تنهيدة
هو الذي يأتي بها من القاع

هو آلة اللعق
والتَّذَوُّق
والقبلات
نسيجه المتعدِّد الخيوط
هو آلة الطعام والجنس والمتعة
سوى أنَّني لا أجد وسيلة
للإجابة عن أسئلته التي يطرحها

تُرى ما السبب الحقيقي
في أنه قد نشأ داخل فمي؟
أمن أجل التَّذَوُّق؟
أم من أجل النطق؟
أم من أجل الحبِّ؟

ديسمبر 2014

باطن القدم والطريق

كلُّ مرَّة التقيتُ فيها والأرض
كانت فاتحة لمشوار على الطريق
أقيس بباطن قدمي المساحَات والأمكنة
بحثًا عن العتبة المؤدِّية إلى موطن الروعة

منعرجات التِّلال
دفق الأنهار
وعورة الصخور الجبليَّة
وَحْل المستنقعات
كلُّها كانت موضع احتكاك باطن القدم

كلُّ خطوة مشيتُها
تركتْ أثرًا على الأرض
ذاك هو شعاع حياتي
الشُّعاع الذي انعكس على الأفق البعيد

ردَّتِ الأرض على التَّذْكَار بتحيَّةٍ
تركتْ آثارها في خشونة بباطن القدم
وشقوق غائرة بحوافَّ خشنة
في موضع ظاهر من الكعب

قدمي هي وسيلتي التي أتوجَّه بها
إلى الأرض بما عندي من أسئلة
ربما كانت بداية الخطى على الطريق
بخطوة من قدمي
لكنَّ الدَّرب لن ينتهي عندما أتوقف عن المسير.

ديسمبر 2014

على قيد الحياة

الأفكار الحالمة فارغة
أريد أن أحيا بكل واقعيَّة
أن أخطو فوق أرض غير مستوية
وفوق رأسي غبار يملأ الأجواء
أفتح عيني على اتساعهما
أرى سقفًا مرقَّشًا
وستارة نافذة أزاحها الهواء

أن أكون على قيد حياة
يعني أن يبقى في سمعي صوت انسياب الماء
وصوت المطر النازل من السماء
ودفق تيار النهر على الأرض
ورشرشة مياه الصنبور في المطابخ
وقرقرة خزَّانات دورات المياه

أن أكون على قيد حياة
يعني أن يصيبني الألم والحكَّة والمرض
أن يُلِمَّ بيَ الجوع والعطش وأدقِّق في اختيار الطعام
وأن أتناول دون ضجر أطباق الأرز والحساء
وفي الوقت نفسه أتذوَّق أنواعًا طازجة من الأطباق
أجرِّب مذاق أطعمة عرفت بها ولم آكلها قط

أن أكون على قيد حياة
يعني أن أضحك وأبكي وأنشج بدموعي
أن أصيح وأغني وألزم الصمت
وأن أطرح السؤال بكل هدوء
عندما تحار الأفكار
أسأل ببساطة: لماذا؟

أن أكون على قيد حياةٍ
أن أتذكَّر دومًا الاسم الغريب
أن أرى دومًا الوجه الحبيب
أن أسمع الصياح من وراء النوافذ
أن يكون هناك مَنْ يهتمُّ لأجلي
وأن أشتاق إلى الاطمئنان على الآخرين

أن أكون على قيد الحياة
يعني أن أهاتف أمي التي أقعدتها الشيخوخة
أكلِّمها قائلًا: إنَّني سأكون بخير كالمعتاد
أن أخوض زحام المدينة كي أطمئنَّ عليها
أزورها وأشرب أقداح الشاي الساخن
أجود أنواع الشاي التي طابت نكهتها مع السنين

أن أكون على قيد الحياة
يعني أن أدوِّن بأجندتي أعمال الغد
ثم أعانق الوسادة
وبالطبع فسوف أحلم
وفي الحُلْم أُحَلِّق في السماء
أو أغوص في الأرض
أفيق من الأحلام وأغسل الوجه
أطوي صفحة الخيال لأجل وجه الواقع المعيش.

7 من يوليو 2013

مقعدي

انحناءات خشبيَّة، تجزُّعاتها هادئة
ظهر المقعد يُدَلِّك سلسلةَ ظَهْرِي، من غير صخب
أمامي جهاز حاسوب
تلمع الشاشة بأضواء عصر حديث
التيار الكهربي يجرف المشاهد في المتع الحسِّيَّة
تتقلَّب الكلمات قفزًا خائليًّا

.....
أُغْلِقُ الحاسوب، أستدير بجسدي
ألمس التجزُّعات الناتئة في ظهر المقعد
أشعر بتيَّار من الهواء البارد يجتاحني
تنبت في ظهر المقعد براعم ناتئة
كأنَّ المقعد قد عاود الاخضرار
كأنَّه قد استنبت أغصانًا نضرة
وأوراقًا كثيفة ريانة

مجرَّد مقعد خشبي عادي،
انقلب في غمضة عين دوحة عظيمة
شملتني بأغصانها الوارفة الظَّلال
وعلى لوحة المفاتيح خدرة الأصابع
راحت الصُّور تتوالى، صورة بعد أخرى
تتَّسع الحلقات الدائرة حول جِذْع الشَّجرة
يتضاءل جسمي مع اتساع الحلقات الشَّجريَّة
يتبدَّد ثقل جسدي فأصير تحت الظِّلال الخضراء
في ثقل ريشة طائر
أتحوّل إلى عندليب يطير ملء جناحيه
أصدح عاليًا بالغناء
أطير إلى الغابات البعيدة
.....

21 من مارس 2009

الألمُ هو قِوَام الأمر

البهجة غلاف قشريّ
الألم هو جوهر الأمر وقِوَامه

الفَرَحُ هو البَحْر الذي يتكاثف سحابات زائلة
الألم هو البحار والأنهار ودوَّامات الموج الهادر

ما أشبه البحث عن الفرح وسط الألم
بجمع الحبوب المتساقطة في البيدر
إثر مواسم الحصاد

ما أشبه البحث عن بهجة وسط تباريح
بجمع الأزهار من الوديان التي غطَّاها الجليد

فليكن ثمَّة ما تندكُّ به النفوس
بحيث يصير الألم حجر الدكِّ الثقيل

يتواصل الدقُّ بمطرقة، مرَّة بعد مرَّة
كي ينسرب الألم إلى الأعماق
إلى أخفى طوايا الباطن

حقًّا، الألم هو حجر الزاوية
هو الأساس الذي تقوم فوقه
مقاصير الفرح المشيدة.

خريف عام 1982

ديوان الآلام

疼痛

فيما عدا آثار خطواتي

التي طبعتها فوق طرقات هذا العالم

فقد خلّفت بصماتي الدقيقة

فوق كل المواضع التي لمستُها

إذ أودعتها أثرًا خفيًا من أصابعي

ثدي أمي، كتف أبي

خدّ حبيبتي، يد طفلي

ملابسي القطنية، والكتانية، والحريرية

صدر سترتي الذي انثنى في هَبَّة ريح

حافة قبعتي التي بلّلها المطر.

بيت الحكمة للاستثمارات الثقافية
174 شارع التحرير - عابدين - القاهرة
ت: 20223936038+ 201007739014+
baytalhekmaeg@gmail.com

Get it on Google play
Available on the App Store

بيت الحكمة
BAYT ALHEKMA

ISBN 978-977-6724-35-8
9 789776 724358